لغتنا العربية

سيدة اللغات

الجزء الثاني

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

العنوان: لغتنا العربية سيدة اللغات الجزء الثاني

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر
الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي
المتابعة والتنفيذ : م.م. ضياء محمد حسن
الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير
التصميم و الاخراج الطباعي:كرار عامر الصافي ، احمد هاشم الحلو
عدد النسخ: ٢٥٠
١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م

جمعية العميد العلمية والفكرية (كربلاء، العراق)، مؤلف.
لغتنا العربية سيدة اللغات. الجزء الثاني.- الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر ، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤ م.
٨٠ صفحة : ٢٤ سم.- (سلسلة نشر ؛ ١٠٤)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة ٧٤-٧٧.
١. اللغة العربية -- مؤتمرات. ألف. العنوان.

LCC : PJ6073 . A8365 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة اثناء النشر

٤١٠ / ٧
ل ٧٢٩ لغتنا العربية سيدة اللغات / مجموعة مؤلفين . -
ط١ . - كربلاء : جمعية العميد ، ٢٠٢٤.
ج٢ (٨٠ ص.) ؛ ٢٤ سم
١. اللغة العربية – دراسات .
٢٠٢٤ /٢٨٣٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٨٣٣) لسنة ٢٠٢٤

ISBN : ٩٧٨-٩٩٢٢-٦٨٠-٦٩-٩

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

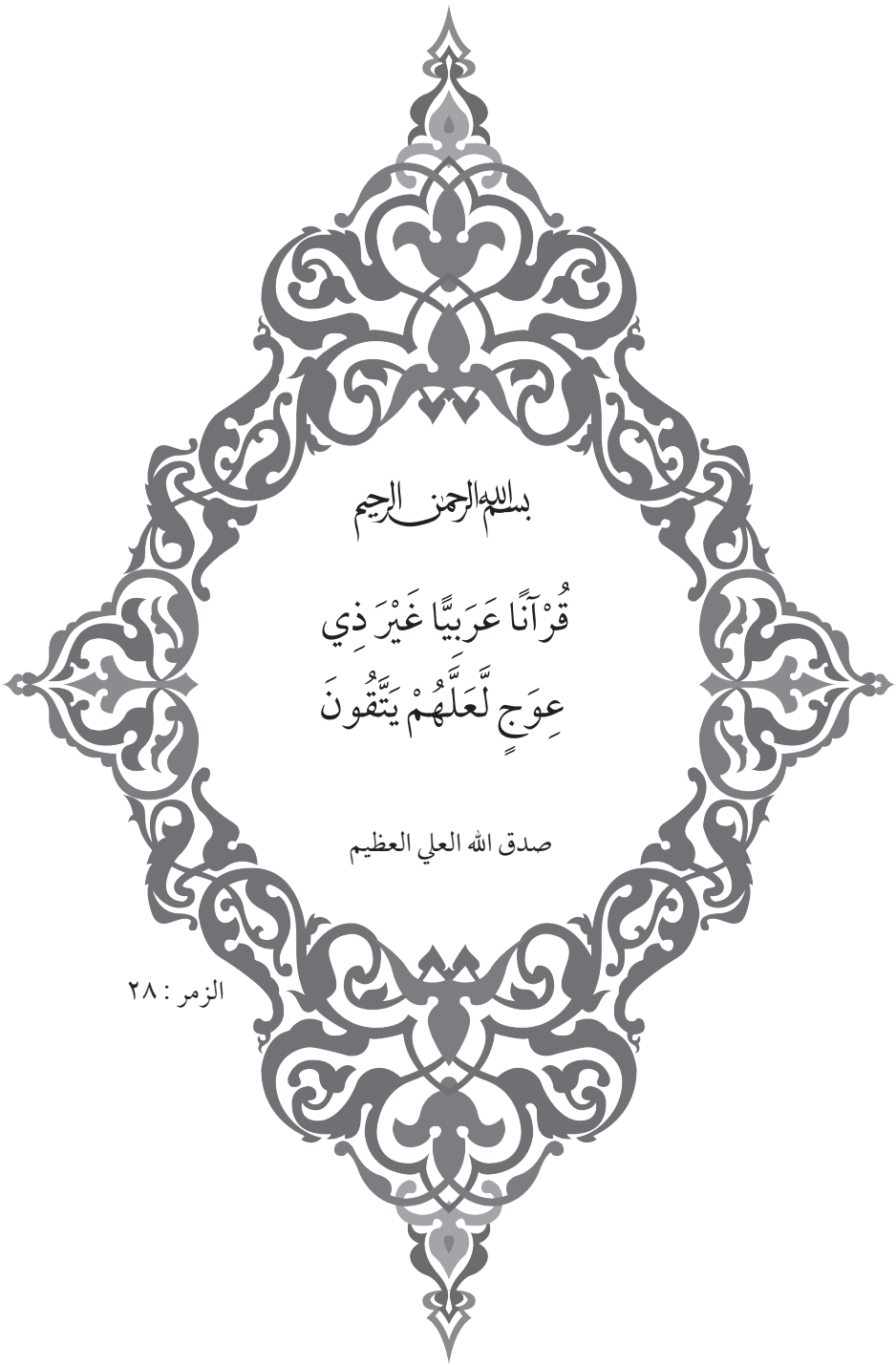

بسم الله الرحمن الرحيم

قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي
عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

صدق الله العلي العظيم

الزمر : ٢٨

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على نبينا الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين .. وبعد

تُعد اللغة العربية لغة مقدسة بوصفها لغة القرآن الكريم ، وهي اللسان الذي حدده الله تعالى ليكون لسان العرب ولسان خاتم الأنبياء نبي الرحمة محمد بن عبدالله ﷺ وأحد أعمدة التشكيلات المعرفية والثقافية للمجتمع الإنساني ،بل هي هويتنا ودليل وجودنا ؛ أي انها اللسان الأول وهي أكثر اللغات الجزرية انتشاراً بين اللغات في العالم لإسهامها في نشر المعارف الإسلامية والإنسانية ونقلها الى الآخر .

فاللغة العربية أجمل اللغات ، لجمال حروفها نطقاً وكتابة وزخرفة ولجمال معانيها بلاغة وفصاحة ولجمال ادواتها كلاماً وخطاباً والاقرب الى حياة الانسان لامتلاكها خصائص اللغات الحيّة .. وصار هنالك يوم للغة العربية يحتفى بها سنوياً ..

والعتبة العباسية المقدسة وبتوجيه من متوليها الشرعي سماحة السيد احمد الصافي -دام عزه- بضرورة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية للحفاظ على سلامة اللغة وجمالها ، باصدار المؤلفات والدوريات المحكمة والثقافية وإقامة مؤتمرات ومحاضرات وندوات علمية من ضمنها ندوتنا الحوارية الاحتفائية بلغتنا الام في أروقة جمعية العميد العلمية والفكرية ،التي جاءت بعنوان (لغتنا العربية سيدة اللغات) وبأوراق بحثية أربع لعلماء اللغة العربية .. الورقة

الأولى وسمت بعنوان (حيوية اللغة العربية) والتي سلطت الضوء على اللغة العربية بوصفها لغة التنزيل العزيز المحفوظ بحفظ الله تعالى وهي لغة الجنة وأداة العلم ومفتاح التفقه في الدين .. في حين تحدثت الورقة الثانية عن عربية التراث الادبي واشكاليات التلقي بحدود كتب التراث الادبي العربي . والورقة الأخرى كانت حول مفهوم اللَّمحُ في اللغة العربية ، كونه احدى الظواهر اللغوية للغتنا العربية ،تحمل بين طياتها دلالات متنوعة لابقائها حيَّة ، من خلال الاستشهاد بآيات قرآنية ونصوص من كلام الأمام الحسين ﷺ .

في حين تضمنت الورقة الأخيرة مفهوم الفرانكو أربيا أي العربية الهجينة في ظل التواصل اللساني الحرّ الذي يبرز أنساق اللسان واثرها في رؤية العالم ، من خلال الأدوات والوظائف اللغوية منها الافهامية والمرجعية او المقامية والميتالغوية فضلاً عن الوظيفة اللغوية والشعرية .. ومن ثمَّ تُسهم العتبة العباسية المقدسة في الحفاظ على سلامة لغتنا العربية وجعلها أنقى اللغات وأجملها وأدقها في التعبير والتوصيف وتعزيز التفاهم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سينا محمد وعلى آله الطيبين الميامين .

أ.د. شوقي الموسوي

رئيس قسم النشر/ جمعية العميد العلمية والفكرية

حيويّة اللغة العربية

أ.د. صباح عطيوي عبود

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

تقديم

اللغة وسيلة اجتماعية تتطلبها حياة البشر، لكونها أداة الكلام والخطاب والفهم والإفهام، وهي تحيا في حياة أبنائها، وهم يحيون فيها.

والعربية لها مزية على غيرِها من لغات البشر، قديماً وحديثاً، إذ هي لغة التنزيل العزيز، ومن أهم سماتها أنَّها لغة حيوية يُعبّر بها ناطقُها عمّا يُريد إبلاغَهُ، ولا تقف عن حدّ زماني أو مكاني، واللافت للنظر أنَّ هذه اللغة بقوانينِها الراسخة المتطورة تقترب كثيراً من حياة الإنسان، حتى يصحّ لنا أن نقول عنها إنَّها زاخرة بالحياة، وإنَّ قوانينَها تنطبق على الإنسان وعلى لغته، وهذه الورقة البحثية حاولنا فيها أن نثبت أنّ لغتنا العربية حيّة في داخلِها، تقاوم كلَّ ضعفٍ بقوة في اللفظِ والمعنى.

اللغة أداة الكلام ووسيلة الخطاب الإنساني بها تتم عملية الإبلاغ الكلامي، وهي وعاء الفكر وآلة الفهم، وهي رمز للهوية ودليل الوجود؛ لذلك تحرص الأمم جميعاً عليها أيّما حرص؛ لأنَّ زوالها يعني زوالهم، كما حدث للكثير من الأقوام في إفريقيا، إذ زالوا لزوال لغتهم.

والأصل في اللغة أنْ تكون منطوقة محكية وما قاله ابن جني في حدها بأنَّها أصوات يُعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم إنَّما كان يعني الأصل المنطوق منها، وقد كان ابن خلدون صادقاً عندما قال: "والسمع أبو الملكات اللسانية"[1]، وما هو مكتوب تعبير لما هو منطوق وهو مرحلة تالية له، وربما كان وسيلة ناقصة لتصوير اللغات، إذ إنَّ كثيراً ممّا هو منطوق لا رمز له؛ لذلك يُعبرون عنهُ – في العربية مثلاً – بأنّ ذلك لا يظهر في الخط إلّا بالمشافهة، وربما اختلطت الأساليب بسبب ذلك كاختلاط التعجب بالاستفهام أو كم الخبرية بالاستفهامية وغير ذلك، ولاختلاف التنغيم عند التصويت يمكن أنْ يتعدد فهم كثير من العبارات؛

لذلك قالوا: "إنَّ الرموز الكتابية جسد هامد حتى يبعث فيها النطق الحياة"(٢).

ولّما كانت العربية لغة التنزيل العزيز، والتنزيل العزيز محفوظ بحفظ الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، فالعربية محفوظة لذلك.

لقد كان لاتصال العربية بالقرآن الكريم أثر كبير في ما حظيت به هذه اللغة إذ اكسبها منزلة رفيعة ومقاماً شريفاً جعلتها تتقدم اللغات وتفوق الألسن جميعاً، ومن جميل ذلك ما قاله أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) في أول سطر من كتابه فقه اللغة وسر العربية قال: "إنّ مَنْ أحبَّ الله تعالى أحبَّ محمداً ﷺ، مَنْ أحبَّ الرسول العربي أحبَّ العربَ، ومَنْ أحبَّ العربَ أحبَّ العربيةَ التي بها نزل أفضلُ الكتب على أفضل العجم والعرب، ومَنْ أحبَّ العربية عُني بها وثابر عليها، وصرف همّته إليها، ومَنْ هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسنَ سريرة فيه، اعتقد أنَّ محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة"(٣).

لقد نزلت العربية بين أهلها منزلاً عزيزاً، فارتبطت بروحهم ومشاعرهم؛ لأنَّها لغة أهل الجنة كما هو في الحديث الشريف، وصارت أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إحراز الفضائل واحتواء المروءة. نقل ابن منظور في لسانه ما نصّه: "وفي الحديث عليكم بتعلم العربية فإنَّها تدل على المروءة وتزيد في المودة"(٤).

فذهب العربي يتعلمها ويجالس علماءها ويتلذذ بسماع كلام فصحائها، قال الجاحظ: "وليس في الأرض كلامٌ أمتعُ ولا آنقُ ولا ألذُّ في الاسماع، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفقهُ للسان، ولا أجود تقويماً للبيان من طول سماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء"(٥)، بل رأوا أنَّ من يخطّئ العربي في

لغته التي جبل عليها مدخول في علقه مجنون[٦].

وامتدت هذه الرفعة إلى علومها، فكان النحو مثلاً أباً للعلوم كلها. نقل ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان: ١/ ١٠٢-١٠٣) ما نصّه: "قال أبو بكر ابن مجاهد المقرئ قال لي ثعلب يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلتُ أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة، فانصرفتُ من عنده فرأيتُ النبي ﷺ تلك الليلة في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس عني السلام وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل... أراد أنَّ الكلام به يكمل والخطاب به يجمل وأنَّ جميع العلوم مفتقرة إليهِ"[٧].

وليس الأمر مقصوراً على هذا، بل امتدَّ إلى موسيقى اللغة وأصواتها، فنشأ علم التجويد: أحكموا فيه أصوله ومبادئه وصفات أصواته ومخارجها فخلب نغمه أسماعهم، وموسيقاه قلوبهم وأفئدتهم فكانوا لا يملكون أنفسهم عند سماعه فلقد نقل المؤرخون أنَّ كلاً من أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق يأخذ نفسه خلسة لسماع القرآن يتلوه الرسول ليلاً، ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فتجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فيه نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرّة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلّ رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ولا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

هكذا كان تعلقهم بلغة القرآن وسحر موسيقاها وعذوبة ألفاظها وبيانها،

ورصف كلماتها، فقالوا فيه: إنَّ فيه حلاوة وعليه طلاوة وإنَّه ليعلو ولا يُعلى عليه[٨].

إنَّ أهم ما يميز العربية في حيويتها أنَّها لغة متطورة واكبت العصور وتطور استعمالها بتطورها، واللغة التي لا يدخلها التطور اللغوي لغة فارقت الحياة كما قالوا ألا ترى أنها تركت استعمال علامة في الفعل تدل على الفاعل في مثل: يلومونني أهلي، وصارت غير مغتفرة على الرغم من فصاحتها وورودها في القرآن والشعر نحو قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، إذ جعلوا ذلك مرحلة متقدمة من مراحل اللغة، ثم بمرور الزمن وتطور اللغة لم يشع هذا الاستعمال حتى أوجب النحاة تجريده من العلامة، قال ابن مالك في باب الفاعل:

وجرِّدِ الفعل إذا ما أُسندا لأثنين أو جمعٍ كفاز الشهدا

ثمّ ألا ترى هذه التحولات الصوتية في سلسلة الكلام المنطوق، فالضاد التي وصفها سيبويه لم يعد لها استعمال، والجيم مالت إلى التحول الشمسي، والقاف والطاء والهمزة أصبحت مهموسة، والغين والخاء ربما تحول مخرجها.

إنَّ العربية حيويّة قويّة في قوّة بنيتها اللغوية ونظامها الدقيق الذي تتضافر فيه العناصر اللغوية جميعاً لإنتاج الكلام، فإذّا اختلّ شيء من هذا النظام فإنَّ أثره يطفو على سطح الكلام، سواء أكان ذلك في نظامه الصوتي أم الصرفي أم النحوي، وحتى في الدلالة والفهم.

ومن طريف أمر هذه اللغة ودليل حيويتها أنَّها تقوّي رصانة بنيتها كلّما تعرض منها عنصر للضعف أو التوهين، ومن أبرز أمثلة هذا التعويض اختيار الضمة لقوتها في بنى المفردات عندما يظهر فيها الضعف لأنَّها أقوى الحركات، فصيغة (فَعُل) القياسية في كل فعل متعدٍ متصرف، عند النقل إليها يُصبح الفعل

لازماً بعد أنْ كان متعدياً، والتعدية أقوى من اللزوم ألا تراهم يسمون الفعل المتعدي (المجاوز) ويسمون اللازم (القاصر)، فنقول في كتبَ محمد شعراً: كَتَبَ محمد. وظاهر إعطاء الضم للصيغة فقوي الفعل بها، ويستكمل التعويض في أمرين آخرين: الأول هو دلالة صيغة (فَعَّلَ) على المبالغة، فمعنى كَتَّبَ محمد، كان كثير الكتابة، والأمر الآخر: هو أنَّ عين الفعل هي التي حركت بالضم، والعين أقوى من الفاء واللام لتحصنها بهما.

والأمر عينه عند بناء (قبل وبعد) على الضم عند قطعهما عن الإضافة، والقطع عن الإضافة يعني أنَّ المضاف إليهِ محذوف، ومعلوم أنَّ المضاف والمضاف إليهِ كالكلمة الواحدة؛ لذلك حُرم (قبل وبعد) من جزء من تكوينهما، فكان التعويض بتقوية البنية بالبناء على الضم، واختير الضم لقوته، وكذلك بناء (أيٌّ) على الضم في نحو (أيُّها) لأنَّها ضعفت عند قطعها عن الإضافة لملازمتها لها، فكان التعويض بالضم كسابقه وعند بناء الفعل للمجهول يضم أوله أيضاً، لما يناله من حذف الفاعل وإقامة النائب عنه، ولا شك في أنَّ ما ينوب ليس كالأصيل، إذ قد يكون نائب الفاعل جاراً ومجروراً. ومن ذلك باب التصغير يضم أوله، لأنَّ دلالته نقصت بالتصغير، وما بقي من الأفعال على حرف أصل واحد نحو: قِ وعِ، لا بُدَّ من هاء السكت في آخره عند الوقف تقوية لبنيته.

والعوامل جميعاً قوية بالتصدير فإنْ تأخرت ضعفت؛ لذلك جيء باللام المقوية في قوله تعالى: ﴿ إن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣]، وكذلك ما كان فرعاً في العمل، يقوّى باللام نحو قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

والضمائر إن كانت على حرف واحد لابد من بنائها على حركة تقوية لأسميتها تعويضاً لما فاتها من البنية إذ الأسماء لا تكون على حرف واخد في أصلها.

والاستثناء عندما يفرغ من المستثنى منه يقوّى بتحوله إلى القصر والتوكيد، وكذلك الأمر عندما تكف (ما) (إن) عن العمل فيتحول فيها الكلام إلى القصر والتوكيد أيضاً، وهذه مرتبة عالية في تقوية الدلالة في الكلام، فكأن هذا تعويض عمّا فقدته من العمل.

وحرصوا على بنية الأصول، فمنعوا توالي الاعلالين في مكان واحد من البنية كي لا ينتابها الضعف والتوهين، وأطالوا الصوت بالمصوتات عند فقدان جزء من البنية كفاء الكلمة أو عينها أو لامها في قسم كبير من التصريفات في نحو ميزان وميراث، وقال وباع، ويدعو ويبني، والأمر عينه عند تخفيف الهمزة في نحو راس وبير ومومن، وقد يكون التضعيف وسيلة للتقوية عندما تفقد الكلمة جزء من بنيتها في نحو خطيّة مخفف خطيئة واتصف واتسع، أو قد تكون التقوية بزيادة صامت في نحو بنت وإقامة واستقامة.

وقالوا أيضاً لا حذف إلّا بدليل وغير هذا كثير، كل ذلك يأتي حرصاً على البنية وتقوية لها.

إنّ هذا ليدل على أنّ هذه اللغة تحافظ على بنائها الداخلي لديمومة كيانها، ولغة كهذه تنبض بالحياة من دون شك، قال ابن جني في عناية العرب بلغتهم: "فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها فإنَّها لمّا كانت عنوان معانيها وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد"[٩]. ونبه على أنَّ هذه اللغة دخلت قلوب غير العرب واستهوتهم فنبغوا فيها، وأصبحوا علماء في ميدانهم اللغوي، وهذا لما في هذه اللغة من خصائص وفضائل فيصدق على ذلك ما جاء في الأثر ليست العربية بأب ولا أُم من أحدكم إنّما العربية اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي.

الخاتمة:

خلصت هذه الورقة البحثية إلى ما يأتي:

١-إنَّ العربية لغة حيويّة متطورة، واكبت العصور، وتطور استعمالها بتطور هذه العصور، سواء أكان هذا صوتياً أم نحوياً أم دلالياً.

٢-إنَّ العربية تقوّي بنيتها كلما تعرّض عنصر منها للضعف أو التوهين، فكان التعويض عنصراً مهماً لبناء ما تعرّض للضعف.

٣-إنَّ هذا التعويض ليس مقصوراً على اللفظ، بل تعدّاه إلى الدلالة والمعنى.

الهوامش

(١) مقدمة ابن خلدون: ١/ ٧٥٤.

(٢) الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): ١٦.

(٣) فقه اللغة وسرّ العربية: ١٥.

(٤) لسان العرب: (ودّ): ٣/ ٤٥٤.

(٥) البيان والتبيين: ١/ ١٤٥.

(٦) يُنظر: أمالي ابن الشجري: ٢/ ٢٧٣.

(٧) وفيّات الأعيان: ١/ ١٠٢-١٠٣.

(٨) يُنظر: التعبير القرآني: ١٠.

(٩) الخصائص: ١/ ١٨٦.

المصادر والمراجع

* الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣: ١٩٦١م.
* أمالي ابن الشجري، ابن الشجري (٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩١م.
* البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
* التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمان، عمان، ط٤، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
* الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
* فقه اللغة وسرّ العربية، لأبي منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
* لسان العرب، لابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
* مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون (٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
* وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

عربية التراث الادبي

واشكاليات التلقي

أ.د.محمد عبد الحسين محمد الخطيب

قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

أ.م.د. اوراس نصيف جاسم

قسم اللغة العربية / كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة

التمهيد

من المعلوم أن كتب التراث الأدبي العربي؛ التي تعود إلى القرون الهجرية الأولى، تُعد الوجة الحضاري المشرق الأبرز، للأمتين؛ العربية، الإسلامية؛ لما تتضمنه من قيم معنوية نافعة، وصور جمالية ممتعة..

غير أن كثيراً من الدارسين، والطلبة، والراغبين بالتراث الأدبي العربي، يواجهون ثلاث مشكلات رئيسة تعترض سبيلهم في قراءة الكتب الأدبية القديمة، واستيعابها، وتتحدد بالتلاوة، والفهم، والتذوق الأدبي، وكلها مرتبطة في تجاوزها، وتذليلها، بالاختيار المناسب للموقف، والحسن في السمع، والأخلاق، والمفيد في الحياة، والمجتمع، إلى جانب مطالعة المعارف العامة، والإلمام بتفصيلات العربية، وقد تبنت هذه الدراسة المختصرة، عرض تلك الصعوبات، ومقترحات الحل المذكورة، المعززة بالشواهد الأدبية المناسبة.

وقد اعتمد الباحثان في هذه الدراسة شواهد كتاب (غرر الفوائد، ودرر القلائد)، للشريف المرتضى، المتوفى في (٤٣٦هـ) بنسبة غالبة -الى جانب مصادر ادبية اخرى-، بوصفه كتابا قديما فيه نصوص قيمة، شعرية ونثرية.

توطئة:

من المعلوم أنَّ كتبَ التراثِ الأدبي العربي، التي تعود إلى القرون الهجريةِ الأولى، تُعَّد الوجهَ الحضاريَّ المشرقَ، الأبرزَ، للأمتين؛ العربية، والإسلامية؛ لما تتضمنه من قِيَم معنوية نافعة، وصُوَر جماليةٍ ممتعة.

غير أن كثيرًا من الراغبين، والدارسين، والمهتمين، بالتراث الأدبي العربي، يواجهون - في مواضعَ من المُصَنّفات التراثية- صعوبةً في التواصلِ مع النصوصِ الشعريةِ، والنثرية، القديمة، إما (تَلَفُّظًا! أو تَذَوقا! أو فِهْمًا، واستيعابًا! أو تأويلا، وإدراكا!)، ومن ثَمّ يجدون صعوبةً في مجاراتها (فصاحةً، وبلاغةً) (بالشرحِ، أو بالتعليق، أو بالنقد، أو بالإفاضة، أو بالحذف، أو بالسؤال، أو بالجواب)، وما إلى ذلك من ارتباط.

إشكاليات التلقي

يمكننا أن ندوِّنَ في هذا الملخّصِ المكثَّفِ، أهمَّ الصعوباتِ المُشار إليها، ومقترحاتِ تذليلها، بحسب تقدير الباحثَينِ الشخصي لها، مُتَّخِذَيْنِ من كتاب (غُرَرُ الفَوائِدِ، ودُرَرُ القَلائِدِ) المعروف اختصاراً بـ(أمالي المُرتَضى)، أنموذجًا لهذا الملخص، وعلى النحو الآتي:

أولا: يلاقي جمهور من قارئي كتب التراث الأدبي العربي، ولاسيما طلبة تخصص اللغة العربية وآدابها، في المرحلة الجامعية الأولية، صعوبة (في تلاوة)، أو في قراءة، النصوص الشعرية، والنثرية، القديمة، المبثوثة فيها، على نحو صحيح، ولعل مرَدَّ ذلك عاملانِ أساسيان، يتلخصان في الآتي:

أ- الاضطراب في التحديد الدقيق، والصائب، للحركات الصرفية، ضمن أوائل الكلمات، وأواسطها، وللحركات النحوية في أواخر الكلمات، وما

يستتبع ذلك الاضطراب من انعدام اليقين في معرفة مواضعها الصحيحة، إن تغيرت بناها الشكلية، ودلالاتها المقصدية، بحسب مقتضى القاعدة اللغوية (تغير المباني، قد يصاحبه تغير في المعاني)، وهنا يتوجب على الطالب أن يتقن أساسيات علمي الصرف، والنحو، فيميز- مثلاً- في الحركات الصرفية، ودلالاتها في السياق بين (البِرّ: الإحسان)، و(البَرّ: اليابسة)، و(البُرّ: القمح)، ويميز- مثلا- بين (يُمِدّ) من (أمدَّ)، بمعنى (يزود)، و (يَمُد)، من (مَدّ)، بمعنى (يطيل)، ويعرف- مثلاً- في العلامات النحوية ودلالاتها في السياق، الفرق، بين (ما أجملَ البيتَ!) في التعجب، و (ما أجملُ البيتِ؟) في الاستفهام.

ب- ضعف إتقان استعمال علامات التنقيط، المعروفة في العربية بعلامات (الترقيم)، إذ أن أهميتها تتأتى في أن استعمالها الصحيح في مواضعها المعنية، سيتيح للقارئ التلون الصوتي، والتنغيم الأدائي، بحسب دلالة النص، فكأن القارئ تَمَثَّلَ مبتغى النص، فأداه بتلاوة صوتية تعبر عما فيه من مشاعر، كارتفاع الصوت - مثلا - عند الغضب، أو الانكسار عند الحزن، أو التوئدة عند تعداد المعارف... وهكذا.

فالفارزة - مثلا - تستعمل في مواطن العطف، والوقف لثانية، ثم الاستئناف، وذلك لتهيئة الأذهان، إلى استقبال معنى خاص جديد، كقول أبي تمام في مدح (أحمد بن الخليفة المعتصم):

"إقدامُ عمرٍو، في سماحةِ حاتِمٍ، في حِلْمِ أحنفَ، في ذكاءِ إياسِ"[1].

فالشاعر قدم لنا جملة صفات محمودة في ممدوحه، توجب علينا وضعُ الفارزة قبل كل صفة ذكَرها، ليتسنى لنا تعدادها، وفهمها، بتأنٍ.

كما تُستعمل الفارزة - مثلا - للفصل بين الشرط، وجوابه، كقول جَرير

بـن خَرقـاء العَجْـلي، في شـخص يعرفـه:

" فإنْ تَنْأَ عَنَّا، لا تَضُرْنَا، وإن تَعُدْ، تجدنا على العهدِ الذي كنتَ تعلمُ"[٢]

فالفـارزة بـين (فـإن تَنْـأ عنـا، لا تَضُرْنـا)، و(إن تَعُـدْ، تَجِدْنـا) مهمـة، لأنهـا تعطـي مسـاحة صوتيـة، لتبيـان مـا يـراد أن يُوصَـل الى ذهـن المخاطَـب، والتأثـير فيـه، ولعلامـات (الاسـتفهام، والتعجـب، والاعـتراض) موقعًـا مهـمًا في قـراءة النـص (تلفظًـا)، ومـا يرمـي إليـه (مـن مغـزى)، كقـول رب العـزة- جـل في عـلاه- ﴿فكيـفَ تَتَّقُـوْنَ إنْ كَفَرْتُـمْ يَومًـا يَجْعَـل الوالـدانَ شـيبًا﴾[٣].

فالآيـة الكريمـة فيهـا اسـتفهام، وتعجـب، واعـتراض متقـدم، والتقديـر (فكيـف تتقـون يومًـا يجعـل الوالـدان شـيبا إن كفرتـم؟!)، فلـو أردنـا أن نكتـب هـذه الآيـة الكريمـة، خـارج إطـار الرسـم القـرآني، كـما نكتـب النثـر، والشـعر، لوضعنـا شـارحتين تـدلان عـلى الاعـتراض تحجـزان- إن كفرتـم- بينهـما، في موضعهـا المتقـدم، ونضـع علامتـي الاسـتفهام أولاً، والتعجـب ثانيـا، بالتتابـع في نهايـة الجملـة (الآيـة الكريمـة)؛ لأن علامـة الاسـتفهام ترمـز إلى السـؤال بـ (كيـف)، عـن حـال النـاس المتمادين في الكفـر يـوم القيامـة، وهـم يـرون العـذاب الشـديد؟! وعلامـة التعجـب اللاحقـة، ترمـز إلى خـروج الاسـتفهام إلى معـان مجازيـة عـدة - وهـذه عظمـة القـرآن الكريـم في إعجـازه البلاغـي- فقـد يُـرادُ بهـا الدهشـة مـن الكفـار الذيـن لا يبالـون بأهـوال يـوم الحسـاب، أو يـراد بهـا السـؤال عـن موعـد الزمـن الـذي ينقلـب فيـه الكفـار إلى مؤمنين تقـاة، قبـل أن يَدْهَمَهُـم يـومُ القيامـة بعذابـه الأليـم، ممـا يعنـي إنـكار إيمانِهـم مـا داموا بعيديـن عـن الرشـد في الدنيـا، أو قـد يـراد بهـا توبيخهـم عـلى بقائهـم في الضلالـة والغـي، دون أن يحسـبوا حسـابًا ليـوم تشـيب فيـه الوالـدان، أو المـراد بهـا، ذِكْـرُ عَجـز الكفـار أمـام عقـاب

الباري الجبار، في يوم هول شديد، يشيب فيه الأطفال قبل أوانهم من شدة الهلع- برسم صورة تقريبية لأذهان الناس عن ذلك اليوم المستقبلي- وكل هذه المعاني المجازية تبعثها علامات صغيرة، تعطي توجيها صوتيًا للمتكلم عند تعبيره عما تقدم من معان ومشاعر.

ثانيا: وجوب فهم النصوص الأدبية في الكتب القديمة، واستيعابها، ولاسيما النصوص الشعرية منها، ويتطلب ذلك أولاً: فهم معنى كل كلمة في النص الأدبي، والعودة إلى المعجمات المتخصصة (معجمات الألفاظ، ومعجمات المعاني)، إن تعذر معرفة معناها، وذلك لانتقاء الملائم منها بلحاظ السياق، ثم فهم معنى الجملة، أو البيت الشعري ثانيا، ومن ثم إدراك معنى النص ككل، أو القصيدة ثالثا.

على أن إدراك المقاصد المتعددة، يتطلب معرفة علوم أخرى، مساعدة في العربية (لغة، وأدباً)، كعلوم العروض، والبلاغة، والنقد، والشريعة، والتاريخ، وغيرها، وهذا لا يتحصل إلا بالانكباب على المطالعة العامة، والإلمام بالتفصيلات الخاصة بعلوم العربية، وفنونها، واقتران ذلك كله بالمواظبة المستمرة على الدرس، والبحث، والسعي الحثيث نحو تلقي المعلومات المختلفة، والصبر الدائم على تجارب الخطأ والصواب، لحين المقدرة على اختيار الكلمات المناسبة للمناسبات، والأغراض، والموضوعات، والتعبير الصحيح، المسبوك، الجميل عنها، فلن يكون المعنى الظاهر وحده مطلوبا، بل هناك مقاصد أخرى جديدة، تتولد باستمرار في العربية، نتيجة تشعب ميادين الحياة، والمعرفة، ولتبيان هذه الحقيقة نورد كلمة شاهداً، من عنوان هذا الملخص، (في قراءة كتاب أدبي قديم/ الصعوبات، ومقترحات الحل)،

فمقاصد (القراءة) تتنوع بتنوع ما يراد منها في السياق، فهي قد تعني التلفظ، أو النطق، أو التلاوة، كتلاوة القرآن الكريم، وحفظ ما تيسر منه، وتكراره دائما، لما في ذلك من اعتياد اللسان على فصاحة الكلمات، وبلاغة الخطاب، وحسن الأدب، واحترام المقابل، والتعبير بما يلائم، ويليق.. والقراءة تعني كذلك، **الفَهم لما قيل**، أو كُتِبَ، أو نُظِمَ، ولا يحصل ذلك إلا بالتأنّي، والتأمل في الكلمات، ودلالاتها الجزئية، وصولا إلى معنى النص الكلي، من نحو المثال الأدبي الآتي: "قال أبو جعفر محمد بن علي ﷺ لكُثَير[٤]: "{امتدحتَ عبدَ الملك بن مروان ؟!} فقال: {لم أقلْ له يا إمامَ الهدى! إنما قلتُ: يا شجاعُ! والشجاعُ: حيةٌ ويا أسدُ! والأسدُ: كلبٌ، ويا غيثُ! والغيثُ: موات!} فتبسم أبو جعفر"[٥]، فتأملُ معانيَ كلماتِ النص القديم بإمعان، يكشفُ لنا عن فهمنا الخاص لمعناه العام، فالإمامُ الباقر-عليه السلام- في النص المتقدم، كأنه يلوم، أو يعاتب الشاعر كُثَير عزة، وهو المحسوب على الشيعة، على مدحه خليفةَ الأمويين عبد الملك بن مروان، فيكون الجواب من الشاعر، أن مدحه للخليفة المذكور، اقتصر على الصفات المحسوسة العامة المعروفة لدى الأدباء، وهي بمُجملها- أي المحسوسات- لا تعدو الحيواناتِ، أو الجمادات، ولم يمدحه بالمناقب المدركة السامية، كـ(إمام الهدى) – مثلا- وكأنه يشير من طرف خفي، أنها تليق بالإمام الباقر ﷺ الذي فهم جواب الشاعر عن سؤاله، فتبسم، إما رضا بجواب الشاعر، أو إعجابا بطريقة الجواب وتخريجاته، دون القناعة بصحة ما ذكر.

والقراءة تعني ثالثًا: التأويل بعد التدبر، أو إدراك المسكوت عنه، أو استيعاب معنى المعنى، أو إظهار المعنى الخفي، من نحو ما "قيل لإبراهيم

النَّخعي[٦]: {متى كنتَ؟!} قال: {حيثُ احتِيجَ إليّ!}" [٧].. فهذا النص يحتاج إلى قليل من التدبر، والتأمل، فالسؤال الظاهر (متى كنتَ؟!) يستبطن معنى (متى عُرِفْتَ، وتُعْرَفُ؟ وكان الجواب على نسق السؤال بعد فهمه (يبرز اسمي، وأُعْرَفُ بين الملأ، حين يُحتاج إليّ، فأنجز ما يُراد مني!).

وفي قول حسان بن ثابت[٨] متغزلا:

"لم تَفُتْها شمسُ النهارِ بشيءٍ غيرَ أنَّ الشبابَ ليس يدومُ"[٩]

نحتاج إلى شيء من التأويل لفهم البيت، فقد يكون مبتغى الشاعر الاعتذار من كِبَرِ سِنِّ المتغزل بها " فكأنه قال: {لم تفتها شمس النهار بشيء}، غير انها كبيرة، طاعنة في السن، وعذرها في ذلك، أن الشباب، ليس يدوم لأمثالها"[١٠]، وقد يكون مبتغاه "إن شمس النهار، لم تفتها بشيء، غير أن شبابها مما لا يدوم، ولابد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس"[١١] مستقبلا.

ثالثا: والمشكلة الأساسية الثالثة، وبخاصة عند طلبة البكالوريوس بقسم اللغة العربية، تتجلى بضعف تذوق النص الأدبي القديم، والتفاعل معه (الشعري منه، والنثري)... وحل هذه العقدة، يتم باختيار الشاهد الأدبي المناسب للموضوع، والمفهوم في معناه لمتوسطي الثقافة، والمأنوس في نظمه، وصوره، وموسيقاه.. ولما كان القرآن الكريم مصدرا رئيسا لا ينضب في لغته، وسبكه، ومضامينه، للناس عموما، وللأدباء خصوصا، فمن الضروري أن يدمن الطلبة على تلاوته، وتدبر آياته، بما يتيسر كل يوم، ففي هذا تهذيب أخلاقي، وسلوكي، ومعرفي، ولساني، ناضج، ويفتح الباب لتقبل النصوص الأدبية البشرية القديمة، وتذوق المفيد، والقريب إلى القلب الممتع منها... وللمدرس سعة في اختيار الآيات القرآنية الكريمة، المبرزة للظواهر الأدبية،

والمظاهر البلاغية، لطلبته، من قبيل وصف حال الكفار يوم القيامة في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ *وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (١٢).

في الآيات المتقدمة، عرض شبه درامي، لما سيلاقيه الكافر يوم القيامة، وقد عَلِمَ عِلْمَ اليقين حينها، بمصيره المشؤوم، إذ يحاور نفسه بالويل والثبور، والذل، والخسران، نتيجة إصراره على ارتكاب الموبقات والآثام، وعناده على الباطل، والغي، والضلالة، ثم ينتقل المشهد الحكائي الدرامي، بناء على النتيجة السابقة، إلى تصوير العقاب الإلهي للمردة العصاة، تصويرا مهولا، لعله بهذه الطريقة يردع الناس في عالم الدنيا، عن الكفر، والظلم، وعمل السوء بكل أشكاله، ولا ريب في أن حجم العقاب المروع الواقع على المسرفين على أنفسهم بالذنوب والمعاصي، قد تم تعليله، بحكمة، واختصار، وبلاغ، يدركه الجاهل، والعالم، بسهولة، وذلك في المشهد القرآني الثالث، حين جمعها بأمرين خطيرين: عدم الإيمان بالله ﷻ والامتناع عن مساعدة الفقراء، والمساكين، والمحتاجين . . . وهنا يقتضي على الأستاذ مدرس المادة، أن يبين للطالب، أن كل مفاصل الشريعة الإسلامية، يتعلقان بهذين الأمرين الخطيرين، فالإيمان بالله ﷻ ينبغي أن يكون قولاً، وعملاً، وعبادة، ومعاملات، وأن مساعدة المساكين بالمال، أو تغيره، بحسب المقدرة، والحث عليها، تعني عمل الخير

دائما لكل من يحتاجها، وبخاصة من لا يملك شيئا من قوت يومه.

وبهذا الاختيار للنص القرآن الكريم المتقدم، وشروحه، يعيش الطالب جو الحكاية المستقبلية، ويعي مرامها، ويتأثر بها، وقد يغير من حاله، وسلوكه مع الله، ومع المجتمع، نحو الإسلام الحقيقي، المعتدل، المرغوب- إن لم يكن رشيدًا -

وفي اختيار نص شعري قديم، ينبغي على مدرس المادة، أن يضع في خلده تحقيق اعتبارات عدة في النص المختار، كقول الشاعر العباسي المشهور أبي العباس علي بن محمد، المعروف بابن الرُّومي (ت ٢٨٣هـ):

" لو كنتَ يومَ الفِراقِ حاضرَنا وهُنّ يُطْفِئْنَ غُلَّةَ الوَجْدِ

لم ترَ إلا الدموعَ سافحةً تَسْفحُ مِن مُقْلَةٍ على خَدِّ

كأنَّ تلكَ الدموعَ، قطرُ ندىً يَقْطُرُ مِن نَرجسٍ على وَردِ" (١٣)

أ-نلاحظ في النص المختار المتقدم، اعتبارات عدة، (أدبية، وبلاغية، وعروضية)، يتعرفها طالب العربية، ويستعين بخطوطها العامة مستقبلا، عند تحليله نصوصا أدبية قديمة، وتتركز في الآتي:

اختيار الشاعر ابن الرومي، مقصود، لأنه علم في الشعر العربي العباسي، وهو من الشعراء الذين يطيلون قصائدهم، ويمعنون في الوقوف عند معانيها الصغيرة.

ب- النص في الغزل أو النسيب، ووصف يوم فراق المحبين عن أحبائهم، بلوحة تجسيدية، عمادها كلمات مفهومة لا تحتاج إلى معجم، وأسلوب متماسك قريب من أذهان الدارسين، ومحبب إلى نفوسهم.

ج- في تحليل لغة النص، عمد الشاعر إلى أسلوب الشرط بـ (لو) في البيت الأول، وجوابه في البيت الثاني، ببناء الاستثناء المفرغ المنفي، دون وجود

المستثنى منه، (لم ترَ إلا الدموعَ سافحةً)، كما عمد إلى الحال (سافحة) في البيت الثاني، والجملة الاسمية بـ (كأن) في البيت الثالث، طلبا لتوضيح ما حصل يوم الفراق بشيء من الثبات، والتعاطف مع الموقف الحزين.

د- استعان الشاعر بعلم البيان في البلاغة، إذ اختار تشبيه الدموع- وهي أصدق ما يعبر عن مرارة الفراق لدى المغادرين، والباقين على حد سواء- تشبيها بقطرات الغيث عند الصباح، لكثرتها، ونقائها، وصفائها، ثم صور تلك الدموع بالاستعارة، حين تهطل من عيون كالنرجس، من شدة بياضها، وسواد البؤبؤ فيها، على خدود أشبه بلون الورد، وكل ذلك من أجل تقريب الصورة إلى الأذهان، وإضفاء الجمال، والشاعرية، والخيال، عليها.. ومن نافلة القول أن نذكر: أنه يتوجب على المدرس، شرح المصطلحات البلاغية البيانية، ومفاهيمها، للطالب، ليكتمل عنده استيعاب ما قيل.

هـ- وزن هذه المقطوعة الشعرية، على بحر المنسرح، وتفعيلاته الأساسية (مستفعلن، مفعولات، مستفعلن) في كل شطر، غير أن الشاعر أفاد من زحافات هذا البحر، وعلله، في التعبير التفصيلي عن لوحة الفراق، فأفاد - مثلا - من الطي: (حذف الرابع الساكن من التفعيلة)، في مُسْتَفْعِلن (-- ب -)، لتصبح مُسْتَعِلن (- ب ب -)، وفي مَفْعُولات (- - - ب)، لتصبح مَفْعُلات (- ب – ب)، كما أفاد من علة القطع في مُسْتَفْعِلن (- - ب -)، لتصبح مُسْتفعلْ (- - -).

ومن الاختيارات الجميلة، السهلة، في وصف بداية عمر الإنسان، ونهاية، قول الشاعر:

" المرءُ مثلُ هلالٍ عندَ مَطْلَعِه يبدو ضئيلاً، ضَعيفا، ثُمَّ يَتَّسِقُ

يزدادُ حتى إذا ما تمَّ، أعقبَه كرُّ الجديدين، نقصانًا، فيَمتحقُ"(١٤)

شبه الشاعر حياة الإنسان منذ ولادته، حتى وفاته بدورة حياة القمر، إذ يبدأ الأخيرُ هلالاً، لا يكاد يبين، ثم يكبر، فيكون قمرًا، حتى إذا ما استوى بدرًا، واكتمل شكله الدائري، وضياؤه الأخاذ في الليالي البيض، أخذ في النقصان، ليعود قمرا، فهلالا، حتى يغيب في المحاق... ووجه الشبه بين الإنسان، والقمر، نقاط الشروع، والاكتمال، والنهاية، غير أن الإنسان قد يموت قبل بلوغه الشباب، ما يشكل نقطة محورية يختلف فيها عن دورة القمر... ثم أن جمهورا من الناس، حتى وإن بلغوا مرحلة الفتوة، والقوة، والشباب، والرجولة، قد لا يقدموا المأمول، والخير، النافع، لأنفسهم، وللمجتمع، على خلاف القمر الذي يفيد البشرية كل شهر... فنقاط التباين بين الإنسان، والقمر، موجودة، معلومة، وهذا معنى قولنا: (وجه الشبه)، ليعرف الطالب، أنه لن يكون هناك اتحاد تام في الجنس، أو في الصفات، بين (المشبه: الإنسان)، و (المشبه به: القمر).

وتحتاج بعض الاختيارات الأدبية النقدية، ولاسيما الشعرية منها، إلى شرح أستاذ المادة ضرورة، كي لا تفهم خطأ، من نحو قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي:

"نَزَلتُم مَنزلَ الأضيافِ منَّا فعَجَّلنا القِرَى، أنْ تَشْتمونا" (١٥)

والتقدير (ألاّ تشتمونا)، والمعنى: عجلنا لكم واجب الضيافة، كي لا تشتمونا، لكن علماء العربية، لا يستحسنون إضمار (لا) في مثل هذه المواضع، لئلا تلتبس[١٦] في أذهان المخاطبين، والمستمعين، والقراء، فيتحول هذا الشاهد من المدح، والفخر، بالعشيرة، إلى ذمها، والانتقاص منها . . . وهذا ما لا يراد، وبرأيي المتواضع، استحباب الابتعاد عن اختيار مثل هذه الشواهد الملبسة، إلا إذا كانت لضرورة تعليمية (لغوية، أو غير لغوية)، تستوجب اختيارها، وحل المشكل فيها، وكذلك يستحب كثيرا، الابتعاد عن الشواهد الأدبية القديمة، المخالفة للأخلاق القويمة، والأعراف السليمة، كقول الشاعر الجاهلي امرئ القيس :

((فَمِثلكِ حُبلَى قد طرَقتُ، ومرضعٍ فألهيتُها عَن ذي تَمائمَ مُحوِلِ))[١٧]

فالحامل، والمُرضِع - برأي الشاعر – يتعلقان به، ويذهلان عن الأطفال - وهم اهتمامهنَّ الأول - فكيف بغيرهما من العذراوات، في حبهم له... وهذا المعنى في الشاهد، مخل بالشريعة، والآداب العامة، ويقال إن النبي الأكرم محمد ﷺ طلب من منشد القصيدة، أن لا ينشد هذا البيت، وطبعا إن اقتضت الفائدة المهمة، إنشاد البيت، أو الحديث عنه ضمن سيرة الشاعر، أو غير ذلك، بالتحليل، والنقد، فالاختيار جائز، مع الأخذ بالحسبان، أفضلية الحوار في هذا الشأن، مع النخبة المتخصصة.

ومما جاء في حسن الظن برحمة الله والثقة به، هذا النص الذي رواه "الصوليّ، عن الحسين بن الفياض، عن إدريس بن عمران قال: جاءني الفرزدقُ، فتَذاكرنا رحمةَ اللهِ وسَعَتها؛ فكان أوثَقَنا بالله، فقال له رجلٌ: ألك هذا الرجاءُ والمذهبُ وأنت تقذفُ المحصَناتِ، وتفعلُ ما تفعل! فقالَ:

أترونني لو أذنبتُ إلى أبوَيَّ، أكانا يقذفاني في تنُّورٍ، وتطيبُ أنفسُهما بذلك؟ قلنا: لا، بل يرحمانِك، قال: فأنا والله برحمةِ ربي أوثقُ مني برحمتهما"[١٨].

فأما بشأن مستوى التلاوة، فإن الخبر قد انماز بترابط بنيته الحَدَثية، التي شدّ من أزرها توالي الفواصل (الفارزة)، الدالة على تتالي أزمنة الأفعال الماضية (جاءني.. فتذاكرنا.. فكان أوثقنا.. وأفعال القول....)، ثم مشهد حواري بين صاحب الخبر والفرزدق، بصيغة سؤال وجواب.

أما عن مستوى الفَهم، فتتجلى للقارئ الغاية التي يرمي لها هذا الخبر، وهي: أن الفرزدق مع شهرته ببذاءة لسانه- وهو رأي إدريس بن عمران-، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون قلبه معلّقا بربه، موقنًا بقريب رحمته، وهذا ما تفصح عنه هذه الحوارية بين راوي الخبر والشاعر، إذ تبدأ بسؤال تعجبي، تليه إجابة مقنعة من الفرزدق لصاحبه، تقيم القناعة في نفسه ونفس كلّ متلقٍ، فالشاعر يرى رحمة خالقه به حتى وإن اكتسب الذنوب من ذرابة لسانه وفحش أقواله في خصومه، لأنه يقيسها على مخلوقاته، ولا سيما الوالدان الذين تأخذهما بولدهما الرأفة به، وإن عقّهما، فكيف بالخالق الذي خلق هذه الرأفة والرحمة في قلوب المخلوقين، فإدريس يعجَبُ من اجتماع هذه النقائض الخُلُقية في صاحبه.

ولكن ثقة الشاعر بقرب رحمة الله منه، لا تعني أن يتمادى الإنسان في غيه، وإيذائه القاصي والداني، ولكنها تعطي موعظة لمن ألّمت به الرزايا ونوائب الدهر، حتى يئس من رحمة الله، أن الفرج قادم نحوه لا ريب، مهما طال البلاء عليه.

وعـن مستوى التـذوق، فإنـه ينـدر في الخـبر الـسردي ظهـور الصـور البيانيـة التـي يزخـر بهـا الشـعر، إلا أن المثـل الـذي ضربـه الفـرزدق لصاحبـه، عـن رأفـة الأبويـن بولدهمـا العـاصي، وكـف يـد العقوبـة عنـه، مـا هـو إلا دليـل عقـلي أقامـه الشـاعر ليقنـع صاحبـه برجاحـة رأيـه.

ومـن الشـواهد الأخـرى التـي تُذكـر في هـذا المقام أنـه "اجتمـع جريـرٌ والفرزدق يومًـا عنـد سـليمانَ بـن عبـد الملـك، فافتخـرا، فقـال الفـرزدقُ: أنـا ابـنُ محيـي الموتـى، فقـال لـه سـليمان: أنـت ابـنُ محيـي الموتـى؟ فقـال: إن جـدي أحيـا المـوؤدة، وقـد قـال تعـالى: ﴿ومَـنْ أحْيَاهَـا فَكَأنَّـما أحْيَـا النَّـاسَ جَمِيْعًـا﴾[١٩]، وقـد أحيـا جـدي اثنتين وتسـعين مـوؤدةً. فتبسـم سـليمانُ وقـال: إنـك مـع شِـعركَ لَفقيـهٌ"[٢٠].

ففـي النـص المذكـور آنفًـا رسـمت علامـاتُ الترقيـم للنـص- وهـي مـن وظائـف مستوى الفَهـم- ملامـح صوتيـة ودلاليـة متباينـة، بـين الإخبـار عـلى وجـه الحقيقـة والمجـاز معًـا، منهـا قـول الفـرزدق مفتخـرًا: "أنـا ابـن محيـي الموتـى"، ثـم (التعجـب) بأسـلوب الاسـتفهام محـذوف الأداة، وهـو قـول الخليفـة سـليمان بـن عبـد الملـك: "أنـت ابـنُ محيـي الموتـى!"، ولعـل تعجبـه هـذا كان تهكـماً واسـتصغارًا لشـأن الفـرزدق، إلا أن الشـاعر لم يلبـث أن ألقـى عليـه حُجّـةً دامغـةً مـن القـرآن الكريـم، وهـي قولـه تعـالى: ﴿ومَـنْ أحْيَاهَـا فَكَأنَّـما أحْيَـا النَّـاسَ جَمِيْعًـا﴾؛ لأن جـده في الجاهليـة كان قـد أنقـذ اثنتـين وتسـعين فتـاةً مُعَـدَّة للـوأد، الأمـر الـذي جعـل الخليفـة يُعجـب بفطنتـه، ويذعـن للشـاعر بهـذه المنقَبـة، فاستحسـن قولَـه وسـلَّمَ لـه بادعائـه هـذا، فأجابـه قائـلاً: "إنـك مـع شِـعركَ لفقيـه".

ولعـل التدبـر لبرهـة قصـيرة في هـذا النـص المـروي والفَهـم لـه، يكشـف للمتلقـي أن العـرب قبـل الإسـلام لم يكونـوا مستحسـنين لـوأد ذراريهـم، إلا مَـن

اضطرّه فقره المدقع وضيق ذات يده، وإلا لتركهم أبو الفرزدق وسواه- ممن حاز هذه المكرمة- يئدون أبناءهم.

وكانت الآية الكريمة واضحة في مراميها من صورتها البيانية (التشبيه المركب)، إذ إن انقاذ أي فتاة من الوأد يشبه ويضاهي إنقاذ أمة بأكملها، ولطالما أنجبت المرأة وأنشأت العظماء والقادة والمفكرين، الذين غيروا وجه العالم.

والشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) في كتابه (غرر الفوائد، ودرر القلائد)، المعروف اختصارًا بـ(أمالي المرتضى)، لم يذكر للقارئ في القطعة النثرية المتقدمة نص المفاخرة الشعرية بين الفرزدق (ت١١٠هـ)، وجرير (ت١١٤هـ)؛ لأن مطلبه الوقوف عند نكتة أخرى ذات أهمية أكبر، وهي فخر الفرزدق بجده في الجاهلية، حين كان يمنع الوأد، أو يشتري من يُراد وأدها، إذ يعني ذلك إبقاءها تعيش، وكأنه منحها الحياة الكريمة، ولهذا أيضًا أعجب سليمان بن عبد الملك باستدلال الفرزدق على دعواه، واستشهاده بالآية القرآنية الكريمة، فرآه شاعرًا وفقيهًا.

وتظهر في القطعة النثرية المتقدمة ملاحظتان، جديرتان بالتأمل:

الأولى: الإشارة في القطعة النثرية إلى المفاخرة بين جرير والفرزدق، بما كان يعرف بـ(أشعار النقائض: الفخر والهجاء)، بين شعراء القبائل، وتشجيع خفيٍّ من السلطة الأموية وقتها، لإشغال الناس عن السلطة الحاكمة من جانب، ولجعل المتخاصمين لسانًا إعلاميًا للخلفاء الأمويين من جانب ثانٍ.

أما الثانية، فهي مرتبطة بالأولى وهي المجالس التي كان يعقدها البيت الأموي في الشام، ويؤمها الشعراء المادحون المتكسبون، إذ كان يُراد لها أن

تُعطي انطباعًا أمام العامة، عن مشروعية الحُكم الأموي، وتعاطيه الشعر، والنثر، والفكر، والعقائد، للدلالة على تضلعهم المعرفي، يقابله الإغداق على الخواص المساهمين في هذه المجالس.

ومن الشواهد الأدبية التي استحسنها الشريف المرتضى في أماليه، بيتان من الشعر (نتفة) الشعرية، لحارثة بن بدر الغُداني، شاعر بصري، تميمي، عاش في صدر الإسلام، وبداية الدولة الأموية:

يا كعبُ ما راحَ مِن قومٍ ولا ابتكروا إلا وللموتِ في آثارِهم حادي

يا كعبُ ما طلعتْ شمسٌ ولا غَرُبَتْ إلا تُقَرِّبُ آجالاً لميعادِ[٢١]

والبيتان من قصيدة في الموعظة، وذِكر الموت، وحقيقة الحياة الفانية، فالمرء ما إن يولد، ويعيش ما شاء الله له أن يعيش، حتى يكون آخر ذلك الموت، والبرزخ، على أن الموت لن يكون نهاية المطاف، بل انتقال إلى عالم الآخرة، ومع أن النتفة لم تذكر هذا المقصد الأخير في البعث صراحة، إلا أنها أومأت من طرف خفي إلى ذلك بالإشارة إلى سنة الحياة في عالم الدنيا، فكل نعمة، أو نقمة زائلةٌ، والله المتفرّد بالملك، والقاضي بين الأنام.

ألفاظ هذا النص سهلة، ميسورة، ومفهومة، وتركيبه واضحٌ، وهذا معلوم إذا ما عرفنا أن شعر الحكمة، والزهد، والموعظة، يكون في الغالب قريبَ المتناول من أذهان الناس، قال الأصمعي: "طريقُ الشِّعر إذا أدخلتَه في بابَ الخير لانَ"[٢٢].

وإذا ما أردنا التدقيق في مفردات البيتين، فإن قول الشاعر (يا كعبُ) خطابٌ لمَعنيٍّ مقصود، إلى جانب النصيحة، والتذكير بطرفي (الحياة، والموت) لدى كل من يقرأ النصَّ، أو يستمع إليه، ولا سيما وأن الشاعر قد كرر نداءه (يا كعبُ) في مطلع كل بيت للتأكيد...

ولعل كلمة (ابتكروا) قد توهم القارئ أن المقصود بها (الاختراع)، والحق أنه قصد بها مَن خرجَ غدوةً، أي باكرًا، فمن ذهب في أول النهار، أو آخر الليل فالموت يدركه.

وفي الأسلوب يلاحظ الطالب الاستثناء المفرغ في البيت الثاني، ضمن كلا الشطرين، وهذا الأسلوب يتألف من (ما- النافية، وإلا- أداة الحصر والاستثناء)، وعادة ما يستعمل في توكيد الفكرة المراد طرحها، أو في الحقائق التي لا تُبَدَّل... وهذا الأسلوب جزء من علم المعاني في البلاغة العربية، وأهميته شديدة، إذ لا نصّ حيويًا من دون استعمال الأساليب التعبيرية، أو التراكيب اللغوية، بعناية، وتدبر، وقصد...

ومثل ذلك استعمال (يا) في قول الشاعر: (يا كعبُ)، فهي للنداء القريب والبعيد، المحسوس، وغير المحسوس، ويكثر استعمالها في الشعر العربي القديم، وتقديرها (أنادي)، وغايتها جلب الانتباه إلى المتكلم.

ومن فنون البلاغة العربية كذلك: فن الكناية الذي يراد فيه المعنى المجازي، كما المعنى اللغوي، فقول الشاعر (ما طلعتْ شمسٌ ولا غربت) كناية عن اليوم، ومن ثمَّ مرور الزمن، والعمر...

وللتورية من فنون البديع، ضمن البلاغة العربية نصيب في النصّ، فـ (حادي) التي استعملها الشاعر، في آخر البيت الأول، لها معنيان، الأول: الحادي، قائد قافلة الإبل قديماً، وهو معنىً قريب لا نريده، والثاني: الموت المتتبع، الراصد لكل نفس في الحياة، حتى ينقضّ عليها حين الأجل، وهذا هو المعنى البعيد المقصود.

وبحر هذه النتفة الشعرية - وبالطبع بحر القصيدة أيضًا- البسيط

(مُسْتَفْعِلُن/ فَاعِلُن/ مُسْتَفْعِلُن / فَاعِلُن) في كل شطر. إنه وزن (بحر) يستوعب الوصف، والحكايات، والشرح، وكثيرًا من الأغراض الشعرية؛ لسعة تفعيلاته، ولمرونته في الزحافات، كالخبَن (حذف الحرف الثاني الساكن لمستفعلن)، فتصبح مُتَفْعِلن (ب – ب–)، ولفاعِلن (– ب –)، لتصبح فَعِلن (ب ب –)، وكالقطع في علة فاعِلن (– ب –)، لتصبح فاعِلْ (– –)...

والأهم المراد في كل ذلك أنْ لا سبيلَ إلى التذوق الأدبي لهذه النُتفة من دون الوقوف عندَ كل التفصيلاتِ المتقدمة، إذ لا بدَّ مِن حُسن التشكيل أولاً للنص صرفيًا، ونحويًا، مع ضبط علامات الترقيم (التنقيط)، ثم فِهم معاني الكلمات الصعبة، وصولاً إلى فِهم المعنى الأعجم في النص، وتتبع أثرِ البلاغة في تحليل القطعة الشعرية.

وعصارةُ الكلام في هذا الملخص، أنَّ هناك ثلاثَ مشكلات رئيسة تعترض سبيلَ الدارسين في قراءة الكتب الأدبية القديمة، واستيعابها، وتتحدد، بالتلاوة، والفَهم، والتذوق الأدبي للنصوص، وكلها مرتبطة في تجاوزها، وتذليلها، بالاختيار المناسب للموقف، والحسن في السمع، والأخلاق، والمفيد في الحياة، والمجتمع.. على أن هذه الدراسة المكثفة بعد رصد تلك المعوقات الثلاثة، عرضت المعالجات من وجهة نظر الباحث، معززة بعدد من الشواهد الشعرية، والنثرية، القديمة.. والباحث في آخر المطاف، يوصي الدارسين عموما، والطلبة خصوصا، بالمواظبة على قراءة القرآن الكريم يوميًا، وبخاصة في أول الصباح؛ لاستعداد الذهن فيه إلى تقبل المعلومات، وإدراكها، إلى جانب مطالعة الكتب الأدبية القديمة باستمرار، لما فيها من الخير، والاستحسان.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

الهوامش

(١) ديوان أبي تمام/ ١٧٣- ١٧٥.

(٢)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ١/ ٣٠١.

(٣)سورة المزمل/ الآية (١٧).

(٤)الشاعر كُثَيِّرٌ بن عبد الرحمن الخزاعي، المعروف بـ(كُثير عزّة)، لغرامه بها، يعد من الشعراء الموالين لأهل البيت عليهم السلام بحسب ما نُقل، توفي سنة (١٠٨هـ).

(٥)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ١/ ٢٨٦.

(٦)إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، قائد عسكري، وقف مع ثورة المختار الثقفي، وقتل عُبيدَ الله بن زياد، الموالي للأمويين، في وقعة الخازر، قُتل سنة (٧١ هـ).

(٧)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ١/ ٢٨٦.

(٨)حسان بن ثابت، معروف أنه شاعر معمر، قيل أنه عاش ستين سنة قبل الإسلام، ومثلها فيه، ودافع عن الدين الإسلامي، وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بشعره.

(٩)في ديوان الشاعر: "لم تقفها..." / ديوان حسان بن ثابت/ ٩٩ و: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ٢/ ٦٩.

(١٠) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ٢/ ٦٩.

(١١)المصدر نفسه/ ٢/ ٦٩.

(١٢)سورة الحاقة/ الآيات (٢٥- ٣٧).

(١٣)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ٢/ ١١٠.

(١٤)المصدر نفسه/ ١/ ٣٩٨.

(١٥)المعلقات العشر، بشرح التبريزي/ ٢٣٥.

(١٦)ينظر: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ٢/ ٤٥.

(١٧)ديوان امرئ القيس/ ٢٤.

(١٨)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ١/ ٦٤- ٦٥.

(١٩)سورة المائدة/ الآية (٣٢).

(٢٠) المصدر نفسه/ ٢/ ٢٤٥.

(٢١)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ ٢/ ١٩٦.

(٢٢)الموشح، للمرزباني: ٧١.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* أمالي المرتضى (غرر الفوائد، ودرر القلائد) / للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / منشورات ذوي القربى / قم / إيران / ١٤٢٨هـ.
* ديوان أبي تمام / شرح محيي الدين الخياط / بيروت / ١٣٦٩هـ.
* ديوان امرئ القيس / مطبعة هندية / مصر / ١٣٢٤هـ.
* ديوان حسان بن ثابت / مطبعة الإمام / مصر / ١٣٢١هـ.
* المعلقات بشرح التبريزي / المطبعة السلفية / مصر / ١٣٤٣هـ.
* الموشح، في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، أبو عبيد الله المرزباني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، (د. ت).

اللَّمحُ في اللغة العربيّة

أ.د.عايد جدّوع حنّون

جامعـــة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

التمهيد

تناولتُ في بحثي هذا اللمح في اللغة العربيّة، وهو من الظواهر اللغوية التي امتازت به لغتنا العربيّة؛ لتبقى حيّة شاخصة يُشار إليها بالبنان، مستشهدًا بآياتٍ قرآنية، ونصوصٍ من كلام الإمام الحُسَين ﷺ، ملمحًا إلى الإشارات اللغوية الدلالية الخفية المتنوعة المبثوثة في النصوص، والتي تُستشف من سياقاتٍ عدة لغوية وغير لغوية. فمرة تُستمدُ من التناص، ومرة من اللفظ، ومرة من النصِّ، وتارة أخرى تُدرك بالحسِّ اللغوي.

توطئة:

تميزت لغتنا العربيّة بجمال جرسها الموسيقي، وتنوع دلالاتها، والذي أقصده باللمح في هذا البحث: الإشارة الدلالية الخفيفة التي يبثها المرسل في خطابه، ويلتقطها المتلقي من اللفظ أو العبارة أو الجملة أو النصِّ بحسِّه وفطنته وذكائه. وهذا التعريف يقترب في دلالته من المعنى اللغوي للمح، فقد قال ابن منظور (ت٧١١هـ): "لَمَحَ إليه يَلْمَحُ لَمْحاً وأَلْمَحَ: اختلس النظر... واللَّمْحَةُ: النَّظْرَةُ بالعَجَلةِ؛ واللُّمَّاحُ الصُّقُورُ الذكيَّةُ... وفي الحديث: أَنه كان يَلْمَحُ في الصلاة ولا يلتفت، وملامح الإنسان: ما بدا من محاسن وجهه ومساويه، وقيل: هو ما يُلمح منه واحدتها لمحةٌ"[1]. ومعنى (**كَلَمْحِ الْبَصَرِ**) في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ** ﴾[2]: النظرة الخاطفة السريعة.

اللمح الحسّيّ:

من اللمح الحسّي في اللغة العربيّة قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ**

عِنْدِكَ ﴾[٣]. الملاحظ في ظاهر الآية ست وعشرين أنَّ إحدى الفتاتين طلبت من أبيها النبي شعيب عليه السلام أن يستأجر النبي موسى عليه السلام، وقد ذكرتْ الأسباب؛ لأنّه رجلٌ قويٌّ أمينٌ. وهذا الطلب له مبرراته المستشفَّة من سياق الآيات السابقة في هذه القصّة، فإنَّ أباها شيخٌ كبيرٌ، ولا أخ لها، ولا تريد الاختلاط بالرجال الأجانب، إذ قال تعالى: ﴿ **وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾[٤]. وعلى ظاهر الآية فسر المفسرون الآية السابعة والعشرين، قال الرازي (ت٦٠٤ هـ): " ويدل على أنّه قد كان جائزًا في تلك الشريعة أن يشترط للولي منفعة، وعلى أنه كان جائزًا في تلك الشريعة نكاح المرأة بغير بدل تستحقه"[٥] ، وقال أبو حيان (ت٧٤٥هـ): "رغب شعيب في مصاهرته، لما وصفته به... وظاهر قوله (أن أنكحك) أنّ الإنكاح إلى الولي، لا حقَّ للمرأة فيه... وفيه دليل على عرض الولي وليته على الزواج، وبه قال مالك والشافعي... والظاهر من الآية جواز النكاح بالإجارة"[٦]. وقال محمَّد الطاهر بن عاشور: "وللجزم بأنه شعيب الرسول جعل علماؤنا ما صدر منه في هذه القصة شرعًا سابقًا ففرعوا عليه مسائل... [منها] ولاية الأب في النكاح"[٧] . ويبدو أنَّ ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي وما نقله عن بعض الفقهاء إذ قال: " وظاهر قوله (أن أنكحك) أنّ الإنكاح إلى الولي، لا حقَّ للمرأة فيه... وفيه دليل على عرض الولي وليته على الزواج، وبه قال مالك والشافعي" تعميم فيه نظر، إذ لا يصحُّ إجبار الفتاة على الزواج إن لم تكن راغبة.

ومن اللمح الحسّي أيضًا في اللغة العربيّة ضحك الإمام الحُسَين ﷺ وردّه على معاوية، إذ قال معاوية للإمام ﷺ: "**يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال ﷺ: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم، وكفّناهم، وصلينا عليهم. فضحك الحُسَين ﷺ، ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكنَّنا لو قتلنا شيعتك ما كفنّاهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم**"[٨]. يُلمس اللمح في ضحك الإمام ﷺ، وفي قوله: "**لكنَّنا لو قتلنا شيعتك ما كفنّاهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم**"، فما صدر عن الإمام ﷺ من فعل الضحك، وقوله هذا فيه تعريض بالفعل والقول؛ إذ لا يوجد في تاريخ الإسلام فعل أشنع من ذلك إلى زمن الإمام الحُسَين ﷺ، فلو كان معاوية مسلمًا كما يدّعي لما قتل نفسًا مسلمة، ثم يُكفّنها، ويُصلي عليها، وهذا الفعل يدلُّ على أنّ معاوية بقوله هذا أماط اللثام عمّا كان يُخفيه من نفاق. وضَحِكُ الإمام أو حتى تبسّمه ما هو إلا ملمحٌ حسّيّ توبيخي أشار به إلى نفاق معاوية بقصد التعريض به أمام النّاس. أما قوله ﷺ فيدلُّ على أنّ المسلم الحقّ لا ينبغي له أن يُكفّن غير المسلم ويدفنه، وهذا التصرّف فيه دليلٌ واضحٌ على نفاق معاوية، وإسلام القوم الذين قتلهم، وفي قول الإمام تلميحٌ لقوله تعالى الذي خاطب فيه نبيه الأكرم ﷺ في المنافقين: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ... وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[٩]. فضحك الإمام وقوله: "لكنَّنا لو قتلنا شيعتك ما كفنّاهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم" فيه لمحٌ إلى أنّ اللهَ جلّ في علاه نهى عن الصلاة على أمثال شيعة معاوية؛ لأنَّهم منافقون خارجون عن دين الله سبحانه وتعالى.

اللمح اللفظي:

من اللمح اللفظيّ قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[١٠]، فقد ذكر سبحانه وتعالى كنية الرجل، ولم يذكر اسمه، لسببين، **الأول**: ليحصل تناغمٌ صوتي بجناسٍ تام ما بين كنيته (**أَبِي لَهَبٍ**) في هذه الآية والآية **الثالثة من السورة نفسها ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾. ومعنى اللهب: "ألسنةُ النار إذا اشتعلت وزال عنها الدخان"**[١١]. والثاني: **لا يريد الله سبحانه وتعالى أن يذكر اسمه صراحة (عبد العزى)**[١٢]**؛ لئلا يتوهم الناس بجواز تسمية الأشخاص بعبد لأحد الأصنام، والعزى من الأصنام التي كانت تُعبد قبل نزول الوحي على نبينا المصطفى ﷺ، فذكره لكنية عبد العزى حملت هذا اللمح اللفظي.**

ومن اللمح اللفظي أيضًا ردّ الإمام الحُسَين عليه السلام على مروان بن الحكم بعدما طلب مروان بن الحكم من والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من الإمام بالإكراه بعد موت معاوية، إذ قال مروان: "والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدًا، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه. احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه"[١٣]، **فوثب عند ذلك الحُسَين عليه السلام قائلًا**: "يا بن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت"[١٤]. **ونلمس لمح لفظي في قول الإمام الحُسَين عليه السلام يكمن في قوله**: " يا بن الزرقاء"**بدلًا من أن يذكر اسمه أو ينسبه إلى أبيه الحكم، إذ نسبه إلى جدته أم أبيه. قال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ): "يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم. وهي الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء، فلهذا كانوا يذمون بها"**[١٥]**، فقد لَمَّح الإمام الحُسَين عليه السلام بذلك؛ ليذكّره بنسبه وحسبه؛ والسبب إنَّ هذا الأسلوب في الكلام**

أمضى أثراً بالمتلقي، فالمقتضى التأثيري للفظة (ابن الزرقاء) نفسيّ يستُمدَّ قوته من المقتضى التداولي ما بين المسلمين لهذه اللفظة، والإمام الحُسَين ﷺ عندما قال ذلك لم يرد فضحه بشيء خافٍ عن النَّاس، بل أراد تذكيره بحقيقة يعرفها الداني والقاصي، بدلالة قول ابن الأثير المذكور آنفًا: "وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء"**؛ ليذكّره بمكانته الاجتماعية في منظور المسلمين، أي مَن هو؟ ومع مَن يتكلَّم. وبهذا التوظيف للفظة (ابن الزرقاء) نقل الإمام الواقع من خارج الخطاب إلى داخل السياق القولي؛ ليحقق فعلاً اقتضائيًا من قولٍ غير مباشر تمهيداً للوصول إلى النتيجة المبتغاة من القول. وبها حبس مروان في وضعٍ ذهني كان فيه في موقف الضعيف العاجز عن الردّ، لأنَّ هذه اللفظة زعزعت في ذهنه حقيقة لا مراء فيها ولا جدال، وفضلاً عن ذلك فإنّ الإمام الحُسَين ﷺ حقق بقوله هذا فعلاً لغوياً غير مباشر تناسب مع المقام بقرائن الحال، وهو إنّ الحقَّ أن تدعو بالخلافة لسبط الرسول لا لابن معاوية بن أبي سفيان**[١٦].

اللمح النصيّ:

ومن أمثلته في اللغة العربيّة قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[١٧]. فقد كان معنى القصاص عند العرب تتبع أثر الشيء، وجاء في لسان العرب: "قصص: قصُّ الشعر والصوف والظفر يقصّه قصًّا، وقصصه وقصّاه على التحول: قطعه... [و] قَصَصْتُ الشيء تتبعت أثره شيئًا بعد شيءٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ أي تتبعي أثره"[١٨]، والقصاص بالمعنى القرآني الوارد في هذه الآية لم يكن معروفًا عند العرب قبل الإسلام، فقد كان العرب قديماً يثأرون من العشيرة بقتل أفضل النَّاسَ فيها،

أما القصاص في الآية فالمراد به " لا يُقتل إلا القاتل بجنايته"[١٩]

وفي القصاص حياة من وجهين: " أحدهما "إذا همَّ الإنسان بالقتل فذكر القصاص ارتدع، فكان ذلك سببًا للحياة، الثاني – قال السدّيّ: من جهة أنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره. خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل"[٢٠].

واللمح في الآية مستمدٌ من الآية نفسها وهو ملمحٌ نصِّي، فقد "اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة بالغة إلى أعلى الدرجات، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة، كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع ، وقول آخرين: أكثروا القتل ليقل القتل"[٢١]. و إنَّ أوجز كلام كان عند العرب في هذا المعنى (القتل أنفى للقتل) وفُضِّلَت هذه الآية عليه – بحسب ما ذهب إليه المفسرون – من وجوه، وهذه الوجوه تمثل الملامح الدلالية للآية لتميزها من أقوال العرب المذكورة آنفًا:

الأول: قلة الحروف، فإن الملفوظ في الآية عشرة أحرف، وفي قول العرب: أربعة عشر حرفًا.

الثاني: عذوبة اللفظ وسلاسته فلم يكن فيه ما في قولهم من توالي الأسباب الخفيفة إذ ليس في قولهم: حرفان متحركان على التوالي إلا في موضع واحد، ولا شك في أنَّه ينقص من سلاسة اللفظ وجريانه على اللسان، فضلاً عن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة؛ لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام.

الثالث: التكرار في كلامهم مع التقارب بالألفاظ لا يخلو عن استبشاع .

الرابع: خلوه من أفعل التفضيل(أنفى) الموهم أن في الترك نفياً للقتل أيضاً.

الخامس: خلوّه ممَّا يوهمه ظاهر قولهم من أنَّ الشيء سببٌ لانتفاء نفسه وهو محال.

السادس: التعظيم في تنوين (حياةٌ).

السابع: الطباق بين القصاص والحياة، فالقصاصُ قتلٌ وتفويتٌ للحياة، وقد جُعل سببًا للحياة، زد على ذلك ما فيه من الغرابة بجعل الشيء فيه حاصلاً في ضده.

الثامن: الاطراد، إذ في كلِّ قصاص حياة، وليس كل قتل أنفى للقتل فإن القتل ظلماً أدعى للقتل.

التاسع: النصُّ على ما هو المطلوب بالذات أعني الحياة فإن نفي القتل، إنما يطلب لها لا لذاته.

العاشر: اشتماله على ما يصلح للقتال وهو الحياة بخلاف قولهم فإنه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان.

الحادي عشر: المراد بالحياة الدنيوية؛ لأن في شرع القصاص والعلم به يروع القاتل عن القتل، فيحقق حياة نفسين في آنٍ واحدٍ.

الثاني عشر: تعريف القصاص وتنكير الحياة؛ لأنَّ المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياةٌ عظيمةٌ.

الثالث عشر: تعريف القصاص بلام الجنس الدالة على حقيقة هذا الحكم المشتملة على الضرب والجرح والقتل وغير ذلك، وقول العرب: لا يشمله.

الرابع عشر: عدم الاحتياج إلى الحيثية، وقولهم: يحتاج إليها[٢٢].

فقد "كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل، وكان يُقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع

بينهم التناحر، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أيّ حياة، أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل؛ لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل، لأنّه إذا همّ بالقتل فعلم أنه يقتصّ فارتدع منه سلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين"[٢٣]، وبذلك يتولد مجتمع مؤمن يرفض القتل، يرتدع فيه الإنسان ولا يقتل. فسبحان من بهرت آيته، وعلت كلمته.

اللمح بالتناص:

قد يتنوع اللمح ويتعدد بالإشارة إلى نصٍّ آخر له دلالات عدّة متنوعة تحمل بين طياتها مراد المرسل بأبلغ العبارات والألفاظ، من ذلك ما جاء في خطبة الإمام الحُسَين ﷺ بأهل الكوفة: "**أ فهؤلاء تعضدون، وعنَّا تتخاذلون؟! أجل والله. خذل فيكم معروفٌ وشَجَت عليه عروقكم، وتأزّرت عليه أصولكم فأفرعتم، فكنتم أخبث ثمرٍ شَجى للناظر، وأكلةً للغاصب. ألا فلعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً**"[٢٤]، ملمحًا فيها الإمام ﷺ إلى الآيات (٩٠-٩٢) من سورة النحل، إذ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾[٢٥].

فقوله ﷺ:" **أ فهؤلاء تعضدون، وعنَّا تتخاذلون**"ورد بأسلوب إنكاري

تعجبي توبيخي لفعلهم بمحاصرة الإمام ﷺ، وإصرارهم على قتله ومَن معه؛ لأنّه لم يرضَ بمبايعة يزيد أن يكون خليفةً لرسول الله ﷺ، وفيه لمحٌ إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾، فهم بفعلهم هذا لم يكونوا عادلين؛ لأنّهم بايعوا دعيًا وخانوا ابن بنت النبي ﷺ، ولم يحسنوا إلى الإمام ومَن معه إذ منعوهم من ماء الفرات، ولم يأتوا ذا القربى (الحُسَين) حقَّه بخلافة جدَّه، بل بايعوا مَن يفعل الفواحش والمنكر، وفي تلميح الإمام لهذه الآية موعظة لعلهم يتذكرون ويراجعوا أنفسهم بأنّهم هم مَن بايعوه بالخلافة، وهم الذين طلبوا منه القدوم عليهم إلى الكوفة.

وقوله ﷺ: " **أجل والله. خذل فيكم معروفٌ... وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً** " لمّح فيه إلى أنّهم لم يرعوا قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ فقد عاهد أهل الكوفة الإمام ﷺ بالبيعة خليفة عليهم، وعندما قدم عليهم خذلوه، ونقضوا الأيمان التي قطعوها بعد توثيقها وتوكيدها بكتبهم المرسلة إليه، وقد أكد الإمام ذلك أمام الناس، عندما جلب معه خرجين من كتبهم يحملها معه من مكة، كتبوا فيها أنَّ الكفيل بينه وبينهم الله سبحانه وتعالى، والإمام أخبرهم أنَّ هذا الخذل معروفٌ فيهم وشَجَت عليه عروقهم، وتأزّرت عليه أصولهم، ملمحًا بذلك إلى خذلانهم أبيه الإمام عليّ ﷺ، مشيرًا بتلميحه لما ورد في نهاية الآية: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾.

وفي قوله ﷺ: " **ألا فلعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها**"تلميح لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ**

أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. فنقضهم للأيمان التي ذكروها وأكدوها في كتبهم يشبه نقض **(الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)**، واللعنة ستحلُّ **"على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها"**، وأنَّ الله سبحانه وتعالى مبتليهم به ﷺ. والإمام الحُسَين بخطبته هذه أراد أن يُحذّرهم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يبين فيه الله سبحانه وتعالى للخلائق ما كانوا فيه يختلفون.

اللمح بالفعل الكلاميّ:

ويُفهم اللمح أحيانًا من فعل الكلام لا من مضمون القول، فالمتلقي لا يدرك المعنى من مضمون القول المباشر، بل من قرائن الحال المقامية. ومن أمثلته قول الإمام الحُسَين ﷺ لابن الأزرق الخارجي قبل أن يصير شيخًا للأزارقة وهي فرقة من الخوارج[٢٦]: **"إني سائلك عن مسألة، قال سل، فسأله عن هذه الآية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾. يا ابن الأزرق من حفظ في الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما؟ قال الحُسَين فأبوهما خير أم رسول الله ﷺ؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون"**[٢٧]. الذي دفع الإمام الحُسَين ﷺ إلى أن يسأل ابن الأزرق هذا السؤال الاستجابة التي رآها منه بعدما أجابه الإمام ﷺ عن سؤاله في وصف الله عزّ وجلّ، فما أن أجابه الإمام ﷺ عن سؤاله وجده يبكي ويقول متعجبًا: "يا حسين ما أحسن كلامك!" فقال له الإمام ﷺ: "بلغني أنّك تشهد على أبي، وعلى أخي بالكفر، وعليَّ". قال ابن الأزرق: "أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام"، هذه الاستجابة من ابن الأزرق دفعت الإمام

الحُسَين ﷺ إلى أن يسأله عن معنى الآية الكريمة؛ ليجعله بذلك يقرّ بأحقية آل البيت ﷺ بخلافة رسول الله ﷺ، فلو أجاب ابنُ الأزرق الإمامَ قائلاً: رسول الله؛ لاستلزم ذلك أن يكون ابنا رسول الله (الحسن و الحُسَين) أحقّ بأن يُحفظ حقهما في الخلافة، وهذا الاستلزام تفطّن إليه ابن الأزرق؛ لذا لم يجب الإمام عن سؤاله، بل أضرب عنه إلى لمحٍ آخر بقوله: "**قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون**"، الذي لمّح إليه ابن الأزرق في قوله هذا: إنّك يا حسين لم تسألني هذا السؤال للتعرّف على بيان معنى الآية الكريمة، وأنت ابن المصطفى وسليل الرسالة المحمدية، بل كانت لك غاية أخرى، وهي لتجعلني أعترف بأحقيتكم بالخلافة، وهذا ينافي عقيدتي، يدلّ على ذلك قوله: (قوم خصمون) الذي لمّح فيه إلى قوله تعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾"[٢٨].

"والمتلقي (المباشر أو غير المباشر) يفهم تلك التلميحات من الحوار الذي دار بينهما، فالفعل غير المباشر الذي أراد الإمام الحُسَين أن يحققه من هذه المحاورة هو ثني ابن الأزرق عن عقيدته، علّه ينقذه من الضلال الذي كان يعيش فيه، لكنَّ قوة فعل الكلام المستندة إلى حجة السلطة المتمثلة بالآية الكريمة التي استند إليها الإمام الحُسَين ﷺ؛ بوصفها تمثل قوة فعل كلام غير مباشر لثني ابن الأزرق عن عقيدته لم تفلح مع ابن الأزرق فبقيَ على عقيدته، وأُسست على يده فرقة من الخوارج عُرفت بالأزارقة، فالغاية من تلميح الإمام ﷺ كانت إرشاد ابن الأزرق إلى جادة الصواب، وهذا التلميح يدلّ في الوقت نفسه على المقدرة البلاغية التي كان الإمام الحُسَين ﷺ يتمتع بها في استيعاب المعاني وتنويعها، والطاقة الحِجَاجية في توصيلها إلى المتلقي"[٢٩].

النتائج:

نخلص ممّا تقدّم:

١-اللغة العربيّة لغةٌ لَمَّاحةٌ تميلُ إلى الاقتصادِ في ألفاظها، وتُعطي دلالاتٍ كثيرةً في مضمونها، وهذا من الخصائص التي امتازت بها لغتنا العربيّة، ولهذه المزيّةُ وغيرها من المزايا اختارها الله سبحانه وتعالى لتكونَ لغةَ كتابه الكريم المعجز في ألفاظه، ودلالاته ومضامينهِ،؛ لتبقى حيَّةً شاخصةً إلى يومنا هذا، وستبقى إلى آخر الزمانِ لتكونَ سيدة لغاتِ العالم، وهذا ما لا نجده في أيِّ لغةٍ أخرى من اللغاتِ.

٢-سحر البيان لا يأسر القلب فحسب، بل يجعل العقل متفاعلاً معه أيضًا باحثًا عن كنه أسراره، يلتقط شذرات سحره المتناثرة بين طياته أو خارج إطاره اللغوي؛ ليتعرف على مراد المرسل وقصده وغايته، وبه تُعرف جماليات اللغة، وبلاغة مرسلها، وأسرار فصاحته، وكنه قصده، وقوة سريرته، وفطنته، وبداهته في تطويع اللغة، وعلى المتلقي ألّا يقف عند حدود المعايير اللغوية، بل يغوص في أعماق النصِّ ليتعرف على كنه أسراره الكامنة تحت أمواجه الهادرة، ويتذوق ملوحته، ويرتشف من عذوبته.

٣-قوة الكلام وتأثيره لا تقتصر على ظاهر اللفظ فحسب، بل يمكن أن تكمن بالتلميح لقولٍ آخر غير مصرّح به.

٤-اللمح باللغة العربيّة إشارات دلالية خاطفة تحمل بين طياتها دلالات متنوعة، بعضها حسّي لغوي أو غير لغوي، وبعضها يكمن في اللفظ، وأحيانًا يأتي مبثوثًا بالنَّصوص. يبثّها المرسل وعلى المتلقي الفطن أن يتتبعها ويلتقطها بفطنته وحسّه اللغوي.

الهوامش

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٨٤.

(٢) سورة النحل:٧٧.

(٣) سورة القصص: ٢٦-٢٧.

(٤) سورة القصص: ٢٣.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٤/ ٢٤٢.

(٦) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٧/ ١١٠.

(٧) التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر ابن عاشور: ٢٠/ ١٠١.

(٨) الاحتجاج، الطبرسي:٢/ ٢٧٥؛ وينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٢/ ٢٤٠ مع اختلافٍ في الرواية.

(٩) سورة التوبة:٧٨-٨٤.

(١٠) سورة المسد:١.

(١١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٠١.

(١٢) اسمه عبد العزى بن عبد المطلب (ت٢هـ) وهو عمّ النبي، يُنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي: ٤/ ١٢.

(١٣) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر الطبريّ:٥/ ٣٤٠.

(١٤) نفسه، والصفحة نفسها.

(١٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ١٥.

(١٦) يُنظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، د. عايد جدوع حنون: ٢٣٦-٢٤١.

(١٧) سورة البقرة:١٧٩.

(١٨) لسان العرب:٧/ ٧٤، وتنظر الآية في سورة القصص: ١١.

(١٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري : ٣/ ١٢٣.

(٢٠) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي:٢/ ١٠٥.

(٢١) مفاتيح الغيب: ٥/ ٦٠-٦١.

(٢٢) يُنظر: الكشاف، الزمخشري:١/ ٣٧٢-٣٧٢، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي :٢/ ٥١-٥٢.

(٢٣) الكشاف:١/ ٣٧٣.

(٢٤) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون:٥/ ٢١٢.

(٢٥) سورة النحل: ٩٠-٩٢.

(٢٦) نافع بن الأزرق كان رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، وكان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله بن عباس. وكان من الخوارج (ت٦٥هـ). ينظر: الأعلام:٧/ ٣٥١.

(٢٧) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤/ ١٨٣-١٨٤؛ وتُنظر الآية: في سورة الكهف:٨٢.

(٢٨) سورة الزخرف:٥٨.

(٢٩) الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام: ١١٨.

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**
* الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسيّ (من أعلام القرن السادس الهجري)، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
* الأعلام، خير الدين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
* البحر المحيط، محمَّد بن يوسف الشهر بأبي حيان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
* تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧١م.
* تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر(ت٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
* التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العامليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، (د.ت).
* التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
* التذكرة الحمدونية، مُحَمَّد بن الحسن بن مُحَمَّد بن علي المعروف بابن حمدون (ت٥٦٢هـ)، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
* الحجاج في كلام الإمام الحُسَين عليه السلام، د. عايد جدوع حنون، مؤسسة وارث الأنبياء، كربلاء المقدسة، العراق، ط١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغداديّ (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

* الكامل في التاريخ، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ المعروف بابن الأثير الجزريّ (ت٦٣٠هـ)، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجد والشيخ علي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
* كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربّلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
* لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ.
* مفاتيح الغيب، محمَّد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (ت٤٠٦هـ)، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

الفرانكو أريبيا Franco Arabia

العربيّة الهجينة في ظلّ التواصل الحرّ

أ.د. مشتاق عباس معن

عضو جمعيّة العميد العلميّة والفكريّة

التمهيد : التواصل ضرورةٌ إنسانيّةٌ وحضاريّةٌ:

لعلّ أهم وظيفة للغة هي التواصل ، الذي يعدّ حاجةً إنسانيةً وحضاريةً في الوقت نفسه ، ولم يكن التواصل وليد العصر التقنيّ ، بل هو صنو ولادة اللغة نفسها ، على مختلف أشكالها وصورها ومستوياتها [١].

والتواصل بأيسر مفاهيمه ، هو تبادل المعلومات بين طرفين أو أكثر ، على نحوٍ مقصود ، يترتّب على هذه العملية التأثير في المواقف والسلوكيات والميول ؛ استجابةً أو رفضًا [٢].

ولعلّ أكثر النظريات اللسانية خدمةً للتواصل ، ولا سيما التواصل اللسانيّ منه ، هي نظرية ياكوبسون التي جعل التواصل في عمق المباحث اللسانيّة ، وحاول عبر تأطيره إبراز أنساق اللسان وأثرها في رؤية العالم [٣]، ووسّع الحديث عبره إلى أنْ يقدّم خطاطات للتواصل اللسانيّ : المرسل والرسالة والمتلقي ، ومنها إلى تصميم وظائف التواصل اللسانيّ والأدبيّ عبر وظائفها الست وهي :

١-**الوظيفة التعّبيريّة** : التي أكّد خصوصيتها بالمرسل بحكم هدفها الرئيس هو التعبير (بصفة مباشرة عن موقف المتكلّم تجاه ما يحدث عنه، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو خادع) [٤]؛ و يأتي عبر طرائق الأداء النطقيّ من خلال جملة من الأدوات اللغوية التي تدلّ على الأساليب التعبيرية من قبيل الاستفهام أو التعجب أو غير ذلك .

٢-**الوظيفة الإفهاميّة**: أكّد ياكوبسون خصوصيتها بالمرسل إليه، عبر سعيه لتحديد العلاقات بين وحدتي الرّسالة – ما ينتجه المرسل - و المتلقي - المرسل إليه – من أجل تشخيص ردّة فعل الأخير ؛ لسبب يسير جدًّ يتمثّل بأنّ أيّ اتّصال يسعى إلى تحقيق هدف وُضِعَ من أجلها؛ ويعمل المنشئ على تحقيق

التّأثير في سلوكيات المتلقي وميوله عبرها ؛ من أجل ذلك يتوسّل المنشئ باللّغة لإلفات نظر المتلقي ، [٥] فيسعى المنشئ لاستعمال أساليب التّرغيب والتّرهيب وسواها بغية التأثير في المرسل إليه.

٣-الوظيفة المرجعيّة / أو المقاميّة: التي تشتغل على ظروف إنتاج الرسالة ، وتعمل على الإبلاغ عبر الترميز اللغويّ ؛ لتدلّ على ما يراد التّبليغ عنه ، وتتلخّص بالإجابة عن سّؤال : لماذا نتواصل ؟[٦].

٤-الوظيفة الميتالغويّة : تعين طرفي وحدات التواصل الرئيسة – المرسل والمرسل إليه – من فهم استعمال السنن والرموز ذاتها في الوحدة الوسيطة – الرسالة – ؛ ممّا يدلّ على نسقية النظام التواصليّ الذي يمثّل في جوهر وجوده سياق القواعد المشتركة بين وحدتي التواصل الرئيسة "المرسل والمرسل إليه "، ومن دون ذلك النظام لا يمكن فكّ شفرات الوحدة الوسيطة – الرسالة – .

٥-الوظيفة اللّغويّة: لعلّها الوظيفة الأمتن من بين الوظائف الأخرى التي تعمل على ديمومة التّواصل بين وحدتي "المرسل والمرسل إليه "مفردًا أو متكثرًا ، والعمل بعد ذلك على إنجاحه.

٦-الوظيفة الشّعريّة : تشتغل هذه الوظيفة على إبراز القيم الجمالية للرسائل ، ويمكن تلخيصها ؛ أنّها الوسائل التي تجعل من الرسائل ذات قيمٍ جماليّةٍ ، من خلال بحثها عن الخصائص الفنية في الرسالة ومكوناتها الإنشائيةٍ[٧]؛ و"ليست الوظيفة الشّعريّة هي الوظيفة الوحيدة لفن اللّغة؛ بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحدَّدة، مع أنّها لا تلعب في الأنشطة اللّفظية الأخرى سوى دور تكميلي وعرضي " [٨]، لأنّها "الوظيفة الجماليّة بامتياز؛ إذ إنّ المرجع في الفنون، هو الرّسالة التي تكفُّ عن أن تكون أداة الاتِّصال لتصير هدفه "[٩].

الفصل الأول :

(نظرة موجزة لمماحَكَة العربيّة)

(هناك سؤال في غاية الأهمية: هل يمكن الدخول في ((الحداثة)) بواسطة لغة ((غير حديثة))، لغة ما زالت في مرحلة ما قبل الحداثة، بمفاهيمها ومصطلحاتها وأطرها الفكرية؟)[١٠] ؛ هذا التساؤل الإنكاريّ ذو الخلفيّة الضاربة ، دفع كثيرًا من أصحاب الميول المماحِكَة للعربيّة إلى بناء نتائج دراساتهم خلُصتْ إلى ضرورة إحداث ثورة على اللّغة العربيّة ؛ التي لم تعد قادرة على تلبية احتياجات التواصل الحضاريّ مع الذات والآخر – بحسب إدعاءاتهم – ؛ بحكم أنّها لغة "غير حديثة "– على حدّ تعبير د.هشام شرابي صاحب النص السابق –.

لذلك شهد التاريخ الحديث والمعاصر للغة العربية حملات (مسعورة على ... الفصحى، يتهمونها بالجمود والقصور وعدم التطور، ومن أوائل المستشرقين ((ولهلم سبيتا)) الألماني الذي كان مديراً لدار الكتب المصريّة في القرن التاسع عشر، وقد حاول وضع قواعد للعاميّة المصريّة، مشيراً إلى أنّ الفصحى دخيلة، جاءت مع الفتح الإسلاميّ، وقام القاضي الإنجليزيّ (بول) وكان من قضاة المحكمة الأهلية بالقاهرة، فدعا إلى تبني اللهجة العاميّة، وكذلك ((فيلوث)) الأستاذ في كامبرج وكلكتا للغات الشرقيّة، قام هو و(بول) بوضع كتاب أسمياه ((المقتضب في عربيّة مصر)). أما المستشرق ((وليم ويلكوكس)) الذي كان مهندساً للريّ في القاهرة فكان الأكثر حماساً لذلك.... و كان يتولى تحرير مجلة الأزهر عام ١٨٨٣م. أما ماسنيون وأمثاله فطالبوا بترك الحرف العربيّ واستبدال الحرف اللاتيني به، وجاء أمثال

((سلامة موسى)) ليكمل هذه المشاريع. ثم هدأت الهجمة وعادت اليوم مجدداً، لكن أيّ مستشرق أو تلميذ له ... لم نسمع لهم صوتاً ينتقد لغة أخرى، فهذه [اللّغة] التركيّة بعد تبني الحرف اللاتينيّ ... ، فكلمة ((حامد وخامد وهامد)) كلها تكتب (Hamid) ثم تقلب كلّ دال فتصير (تاء) حتى إن نور الدين تصبح ... نور التين)[١١].

وتواصلاً مع النصّ السابق ، ينتقد **المؤرخ الأوربي توينبي** سعي الأتراك لتغيير جلد تواصلهم ؛ بهجر الحرف العربيّ وتبنّي الحرف اللاتينيّ ، بقوله (ها هم الأتراك يحاولون إقامة صورة.. "طبق الأصل" لدولة غربيَّة، وشعب غربيّ، وعندما ندرك هدفهم نتساءل بحَيْرَة: هل يبرر هذا الهدف حقًّا الجهد الذي بذلوه في صراعهم لبلوغه؟؟ إننا لم نكن نحبّ التركيّ التقليديّ "المسلم المتحمّس "... لقد استطعنا أخيراً أنْ نحطّم سلامه النفسيّ، لقد حرضناه على القيام بهذه... "الثورة المقلّدة "التي استهلكها الآن أمام أعيننا، والآن وبعد أنْ تغيّر التركيّ بتحريضنا ورقابتنا، وبعد أنْ أصبح يفتّش عن كلّ وسيلة لجعل نفسه مماثلاً لنا وللشعوب الغربيّة، الآن نشعر بالضيق والحرج، بل نميل إلى الحنق والسخط، وبإمكان التركيّ أنْ يجيبنا بأنّه مهما فعل فهو "مخطئ "في نظرنا، وهو قادر على ترديد مقطع من كتابنا المقدس "نفخنا معكم في القرب فلم ترقصوا، وحزنا معكم فلم ترضوا")[١٢].

وتأسيسًا على ما سبق ، لا تعدّ محاولة استهداف اللغات المركزية ، ولا سيما ذات الامتداد العقديّ ، جديدة، وفي الوقت نفسه أثبتت التجارب أنّ تغير لبوس اللسان ؛ بهجر اللغة برمتها ، أو حرفها على نحو خاص ، هو انتحار حضاريّ ، ولعلّ التجربة التركية خير مثال ألمحنا إليه سابقًا.

الفصل الثاني :

(الفرانكو أريبيا Franco Arabia: النشأة والمقولات)

أولًا : النشأة :

لا يوجد تاريخ دقيق لنشأة هذه اللغة ، بل ظهرت في أواخر التسعينيّات من القرن المنصرم ، وبداية القرن الحالي ، وكان ظهورها دفعيًا ؛ بمعنى أنّ تسيّدها لمشهدية التواصل بين الشباب لم يكن بسيطًا فشاع ، بل كان ظاهرًا على نحوٍ ملفت ، بالضبط كاستغرابنا من أوليات معارف تراثنا الإسلامي ، بحيث بدأ بأمّات ضخمة ككتاب سيبويه ، وتاريخ الطبري ، وتفسيره ، وغيرها من الأمّات المعروفة[١٣].

ولربما كان لهذا التسيّد الدفعيّ في مشهدية التواصل التقنيّ بين فئة الشباب له ما يسوّغه ؛ بحكم أنّ المؤسسات الرسمية وغير الرسمية المعنية بحفظ حقوق اللّغة العربيّة بالانتشار والتداول لم تأخذ وظيفتها ، فبحث الشباب عن وسيلةٍ بديلةٍ تُعينهم على التواصل في ما بينهم ، وسنقف عند هذا الأمر في اللاحق من ورقتنا هذه – إن شاء الله تعالى – .

ثانيًا : المصطلح والمفهوم :

تداول المعنيون في تاريخ اللغات في عصر التقانة المعيش مجموعة من المصطلحات التي تلبّست بلبوس التواصل موضوعة البحث ، ولكن أشهر مصطلحين هما :

- **الفرانكو آريبيا Franco Arabia .**
- **العربيزي Arabizi .**

ونلاحظ في المصطلحين وجود مهيمنتين بنائيتين ، هما :

- مهيمنة الجمع بين العربيّ والأجنبيّ .
- مهيمنة التلميح إلى حضور الحرفين العربيّ والإنجليزيّ .

وهاتان المهيمنتان كانتا صدى لطبيعة هذه اللغة ، فهي اعتمدت في الأساس على مفصلين بنيويين هما :

- مفصل الكتابة بالحرف والرقم اللاتينيّ .
- مفصل الفهم بالصّوت العربيّ .

وهما ما سيظهران جليًا في التعريف الآتي ، فالفرانكو أريبيا هي :

لغة تواصل تقنيّة شاعت على الأجهزة اللوحية الذكية وما قبلها ، تعتمد الحرف اللاتينيّ بالصوت العربي ؛ أي أن الكتابة عربية فهماً ونطقًا ، ولكن أنجليزية رسماً ومسارًا ؛ بحيث تكون الكتابة من اليسار إلى اليمين، وتقترب من اللغة الدارجة بسبب إلغاء الحركات الإعرابيّة ، وسيتضح التفصيل في الآتي بيانه[١٤]:

ثالثًا : ألفبائيّتها :

أ يقابله حرف a .

ب يقابله حرف b .

ت يقابله حرف t.

ث يقابله حرف t’ ، أو th .

ج يقابله حرف j .

ح يقابله حرف ٧ .

خ يقابله الحرفان kh .

د يقابله حرف d.

ذ يقابله حرف ’d .

ر يقابله حرف r .

ز يقابله حرف z .

س يقابله حرف s .

ش يمكن أن نكتبه بعدة طرائق وهي sh أو ch أو $.

ص يمكن كتابته برقم ٩ أو حرف الـ S على أن يكتب على شكل الأحرف الكبيرة.

ض يقابله رقم ’٩ أو يكون على هيأة حرف D على أن يُكتب على شكل الأحرف الكبيرة.

ط يكتب على شكل الرقم ٦ .

ظ يقابلها رقم ’٦ أو يكتب بالحرف Z على أن يكتب على شكل الأحرف الكبيرة.

ع يقابله رقم ٣

غ يقابله رقم ’٣ أو بحرفين gh .

ف يقابله حرف f .

ق يقابله رقم ٨ أو ممكن أن تستخدم الحرف q

ك يقابله حرف k .

ل يقابله حرف l .

م يقابله حرف m .

ن يقابله حرف n .

هـ يقابله حرف h .

و يقابله حرف w أو حرف o وذلك حسب طريقة نطق حرف الواو وقوته في الكلمة المستخدمة.

ي يقابله حرف i وفي حالة الياء الخفيفة فإنّنا يمكن أن نستخدم حرف e وفي حالة وقوعها في آخر الجملة فإننا نقوم باستخدام حرف Y.

رابعًا : أشهر مختصراتها وأدواتها الرابطة :

* **صباح الخير** تكتب في لغة الفرانكو هكذا ٧eir el saba٥ .
* **طيب** تكتب في لغة الفرانكو هكذا ٦yb .
* **ماذا تعمل ؟** تكتب في لغة الفرانكو هكذا ٣aml eh .
* **اسأل** تكتب في لغة الفرانكو هكذا es٢al .
* **انتظر** تكتب في لغة الفرانكو هكذا w٨ .
* اصبر يمكن كتابتها في شكل o٩bor .

ومجموعة من اختصارات هذه اللّغة ؛ مثل (OMG) وهي اختصار لعبارة oh my god وتعني **يا إلهي** .

ونجد كذلك عبارة (٧mdllh) وتعني **الحمد لله** .

LOL = الضّحك بصوت عالٍ .

WB = مرحبًا بعودتك (welcome back) .

Tom = غدًا (tomorrow) .

day ٢ = اليوم (today).

Plz = من فضلك (please) .

Thnx = شكرًا (thanks) .

B٤ = من قبل (before) .

Fbm = فيس بوك التابع لي (face book me) .

Btw = بالمناسبة (by the way) .

Hru = كيف حالك ؟ (how are you) .

Hrt = كيف الأمور ؟ (how things are) .

C u tom = أراك غدًا (see you tomorrow) .

Brb = سوف أعود (be right back) .

tut= خد وقتك أو براحتك Take ur Time .

R = يكن (are) .

U = أنت (you) .

Ur = ملكك أو للملكية (your) .

C = يرى (see) .

٢= إلى (to).

٤= إلى ، عن (for) .

ISA = إن شاء الله (In Sha٢a Allah).

MSA = ما شاء الله Ma Sha٢a Allah .

JAK = جزاكم الله خيراً (Jazakom Allaho khayran) .

al٧ الحمد الله (al٧amdo lilah) .

CU = نراك لاحقاً (see you) .

U٢ = أنت إيضًا (you too) .

g٢g = إنّني مضطر للذهاب الآن" (got to go) .

IDK : لا أعرف i don't know .

الفصل الثالث :

(الدوافع و التمثّلات)

أولًا : دوافع النشأة:

ربما يذهب كثير من المهتمين إلى أنّ هذه اللغة نتيجة طبيعية لنظرية المؤامرة[١٥] التي غالبًا ما نعلّق عليها شماعات تقصيرنا الحقيقيّ تُجاه الحياة ، ولكنّي على الرغم من عدم ميلي إلى هذا الدافع ، لا أنكره تمامًا ؛ لأنّ المعطيات التي رشحت من متابعتي لدوافع نشاة هذه اللغة كانت لأسباب طبيعية حتّمها الظرف المعيش ، وهو ما سنبيّنه في الآتي من أسطر:

١-الدافع التقنيّ :

من الطبيعيّ أن تكون التاجات الجديدة الموسومة بـ "الاختراعات والابتكارات "موسومة بطبيعة الجهة التي اخترعتها أو ابتكرتها ، وتسعى الجهات الأخرى إلى تطويعها لطبيعة ما اعتادت عليه ، ولعلّ حركة التعريب والترجمة في بدايات التبادل الحضاريّ بين العرب وسواهم من المجتمعات المجاورة خير دليل على آلية التطويع التي تلجأ إليها المجتمعات المستعينة لاستثمار ما رشح من المجتمعات المنتجة .

وتأسيسًا على ما مرّ ، فإنّ الأجهزة اللّوحيّة في مرحلة ما قبل الذكاء الصناعيّ المتقدّم كان لا يدعم الحرف العربيّ ، بل صُمِّم على أساس الحرف اللاتينيّ ، وحروف اللّغات الأخرى التي أنتجت أو أسهمت في تطويع المنتج لصالح حرف تواصلها اللّغويّ ، وتعقّد الأمر فيما تلاها من مرحلة الذكاء الصناعيّ المتقدّم بحيث كان الحرف العربيّ أكثر الحروف مشكلة في التعاطي مع المستجدّات والمستحدثات ، حتى مال كثير من المبرمجين والطباعيين

والمصمّمين إلى تنصيب البرامج باللغة الإنجليزيّة وترك البرامج المعرّبة لفرط ما فيها من مشكلات ؛ بسبب بناء البرمجة الحاسوبيّة أصلاً على اللّغة الإنجليزيّة ، وكان التعامل بالضبط كالذي يتواصل بين طرفين عبر طرف ثالث ليس من جنسيهما ، فمن المؤكّد هذه الدورة ذات السّمات المختلفة ؛ حرفًا ، وفهماً ، وبناءً ، أدّى إلى إشكالات تقنيّة وأخرى عملية تنعكس على الناتج الأخير لحصيلة التعامل التقنيّ ؛ تواصلاً ، أو تصميماً ، أو برمجةً .

من هنا بات المستخدم العربيّ User بين ثلاثة خيارات لا رابع لها :

– استخدام الحرف المتاح ، وهو ليس عربيًا أصلاً ، وهو خيار صعب لأنّ التواصل بلغة أخرى يقتضي معرفتك بقواعدها، وهو ليس متاحًا للجميع .

– استخدام البدائل العربيّة التي منشأوها المؤسسات الرسميّة في الدول المعنيّة وهي العربيّة طبعًا.

– السعي لإيجاد بدائل تجمع بين الخيارين السابقين .

٢–دافع انتفاء البديل :

لم يكن الموقف العربي تُجاه التقنيات والنتاجات التكنولوجية إيجابيًا ، بل كان سلبيًا ورجوعيًا ؛ لأسباب كثيرة ، لعلّ أهمّها :

– التخلّف المعرفيّ الخاصّ بالتقنيّة في المؤسسات الأكاديميّة المعنيّة برفع مستوى المعرفة في المجتمع العامّ ، بحيث كانت الدول العربية في ذيل الدّول المعنيّة بالمعرفة التقنيّة في الإحصاءات الدوليّة المعتمدة .

– ضعف البنى التحتيّة التقنيّة في بلداننا العربيّة على نحو خاصّ والإسلاميّة على نحو عامل ، بحيث أنّ حاصل قياس الفجوة الرقميّة Digital Divide بينها وبين الدّول الأخرى كبيرًا بحسب الإحصاءات الدوليّة المعتمدة.

- سيطرة فكرة "نظريّة المؤامرة "على المتخيّل العربيّ تُجاه كلّ وافد من الآخر ، ممّا يبطِّئ التفاعل المعرفيّ ما يرد من الآخر لحين التأكّد من سلامته ، وهو ما يجعل المواكبة آخر المفاهيم التي يمكن أن تؤمن بها الجهات الرسمية المعنية بالجانب التعليميّ والتربويّ والثقافيّ في بلداننا العربيّة والإسلاميّة .

كلّ هذا وسواه جعل من فكرة تقديم البدائل لمعالجة الخلل المرصود في الدافع الأول أمرًا مستبعدًا ، ولعلّ أولى تلك البدائل بدعم الحرف العربيّ ليكون قادرًا على التعامل معه تقنيًّا ؛ بجعله حرفًا ضوئيًا يفهمه العقل الحاسوبيّ على الأقلّ .

٣- دافع الحاجة :

لّما كان الخيار الأول أمام المستخدم العربيّ ، المتمثّل باستخدام اللّغة الإنجليزيّة في التواصل ، متعذّرًا ؛ لأنّه غير متاح للجميع ، بحكم جهل الأغلب الأعم بأساسيّات ذلك التواصل ، ولّما كان الخيار الثاني أيضًا مستبعدًا ، وهو إقدام المؤسسات العربيّة والإسلاميّة الرّسميّة على إيجاد بدائل ؛ لتمكين الحرف العربيّ من أن يفهمه العقل الحاسوبيّ ، ويكون مدعومًا من قبل الأجهزة اللّوحيّة ، صار لزامًا على المستخدم العربيّ ، ولا سيما الشباب منهم أن يسعوا إلى صناعة وسيلة جديدة تجمع بين :

- ما تدعمه الأجهزة اللّوحيّة ، وهو الحرف اللاتينيّ .
- ما تدعمه الذهنيّة العربيّة ، وهو الصّوت العربيّ .

فصارت من ذا وذاك وسيلة تواصلية جديدة ، كوّنت في المحصّلة لغة جديدة ، عُرفت بـ : الفرانكوأريبيا أو العربيز .

لذا فالراشح عندي ، أنّ هذه اللّغة كانت حاصلًا طبيعيًّا لسدّ حاجة

إنسانيّة مفصليّة في حياة البشر ، وهي الحاجة التواصليّة ، والسبب الرئيس هو قصور المؤسسات الرسميّة في تقديم بدائل للمستخدم العربيّ.

٤-دافع التواصل الحرّ :

يُطلق تجوّزًا على التواصل المنفلت ؛ لانعدام الرقابة عليه ، ولا نقصد بالرقابة هنا ؛ الرقابة البوليسيّة ، بل الرقابة التحصينيّة ، والترصينيّة ؛ بكلّ ما تحمله من وظائف تربويّة إيجابيّة ، فالمجتمعات وأفرادها تحتاج دومًا إلى منافذ للتوعيّة ، والتحصين الثقافيّ ؛ من أجل انتشال ذهنياتهم ، ومدركاتهم من كلّ ما يمكن أن يكون مصدرًا للتشويش أو التشويه الفكريّ والثقافيّ .

وكان التواصل الحرّ – المنفلت – سببًا من أسباب سرعة تفشّي هذه اللغة بشكل دفعي واسع النطاق ؛ بحكم أنّ خيوط السيطرة عليه ليست بأيدي مؤسساتنا الرسميّة المعنيّة بالتربية والتعليم والتثقيف ؛ لأنّ مواقع التواصل الاجتماعّي وبقية المواقع الأخرى بيد الآخر – الأجنبيّ – .

ثانيًا : محفّزات دعم العربيّة الهجينة :

ربما تكون مخاطر هذه العربية المبتدعة محصورة ، أو قليلة الأثر ، لولا حضور بعض المحفّزات التي تعمل إثارة الحيوية ، وديمومة الحياة فيها ، وقد أجملنا تلك المحفّزات بالآتي بيانه:

١-استمرار الضعف في البنى التحتية في مؤسساتنا الرسميّة ، ولا سيّما المعنيّة بالتواصل التقنيّ ، والإنتاج التقنيّ ، ممّا يعضّد ثقة المستخدم بعقليّة الغربي المنتج ، ويندفع باتجاه الاعتقاد الراسخ بضرورة الحذو حذوه ، والاقتداء به قدوةً معرفيّة وثقافيّة ، وهذا ما يحصل في سلوكيات شبابنا ؛ باعتقادهم الراسخ بتقدميّة الآخر ، والسعي المستميت للهجرة إلى بلدانهم ، وتلبّس ثقافاتهم .

٢-دعم الجهات الأخرى ، وأعني بها الغربيّة ، لهذا الوجّه الذي لا أجده مندرجًا بميزان "نظرية المؤامرة "– على أنّي لا أبرّئ الآخر من سلوكها ، ولكن ما أعتقده هنا ؛ أنّه – أي الآخر – يسعى إلى الترويج للغته ، وحرفه ، دعماً لتوجّهه القوميّ ، بالضبط كما نسعى نحن إلى تدعيم هويتنا الإسلاميّة من خلال عربيتنا ، فعملوا على إيجاد محفّزات لاستدراج بقاء المستخدم العربيّ في حاضة هذه اللّغة الجديدة التي تثبت تقدّم لغتهم على لغتنا ، وهو ميزان معتمد في مسيرة "الصّراع اللغويّ "على مدى تاريخ البشريّة ، وبسبب ذلك انقرضت لغات كانت متسيّدة ، وتأخرت لغات كانت متقدّمة ، وتقدّمت لغات كانت متأخرة ، ومؤرخو اللغات الإنسانية قدّموا ما قدّموا من وثائق تثبت ذلك .

ومن أدلة سعي الآخر – الغربيّ – لإبقاء المستخدم العربيّ في دائرة الفرانكو أريبيا ، الآتي :

أ.تفعيل المواقع واسعة النطاق للترجمة من وإلى (العربية والفرانكو أريبيا) ، من قبيل موقع :

https//:www.net3arabi.com/p/franco-translate.html

ب.إطلاق موقع "Franco "للتعريف بالفرانكو أريبيا ودعم تداولها في البرامج الطباعيّة والتصميميّة والبرمجيّة على اللابتوب والحواسيب الثابتة .

ج.إطلاق تطبيق " Franco "للتعريف بالفرانكو أريبيا ودعم تداولها في البرامج الطباعيّة والتصميمية والبرمجية على الموبايل والأجهزة اللوحية الذكيّة [١٦].

د.إطلاق موقع برمجي يعمل على تحويل لوحة المفاتيح – الكيبورد – من اللّغة العربيّة إلى لغة "الفرانكو أريبيا "عبر اتباع التعليمات التقنيّة من مجموعة

مواقع ، منها[١٧]:

https://www.mtaltawaf.com/2023/08/download-tamam-arabic-keyboard.html

هـ.إطلاق شروح تعليميّة للتعامل مع لغة الفرانكو أريبيا على مواقع التواصل المرئيّ ، من قبيل الـ You Tube[١٨].

ثالثًا : السلبيات :

من الطبيعيّ أنْ يكون لكلّ ميل آثار ، سواء أكانت تلك الآثار إيجابيّة أم كانت سلبيّة ، ولكن غالبًا ما يسلّط الضوء على السلبيات منها ؛ لمعالجتها ، ودفع تفاقمها ، وقياس مدى خطورتها على الحيز الذي تتحرّك فيه ، ويمكننا رصد جملة من السلبيات التي حصلت أو نترقب حصولها لهذه العربيّة الهجينة ، نعني بها الفرانكو أريبيا - ، أجملناها بالآتي بيانه :

١-تعميق ستراتيجيّة "التشوّهات الإدراكيّة "في ذهنية المستخدم العربيّ ، وجعله في سلوك معرفيّ مرتبك ، بحيث لا يفقه قيمة لغته الأمّ – العربيّة - ، ويندفع نحو لغة لا جذر لها ، ويأخذ التفكير بذهنية مستعارة واهنة الامتدادات .

٢-انقراض العربيّة والانقطاع عن أصولها ، وغياب التواصل المعرفيّ والثقافيّ مع تراثنا ولا سيّما عقيدتنا وكتابنا "القرآن الكريم ".

التوصيات :

تأسيسًا على ما سبق ، يوصي البحث بالآتي :

- ضرورة إعادة النظر في فلسفة التربية التي تحكم المناهج التعليميّة العربيّة ؛ ولا بدّ من دعمها الرئيس لثقافة التقنيّة ، والحثّ على الخوض فيها ؛ لأنّ الخُواف Phobia منها يجعلنا في ذيل الرّكب الحضاريّ .

- ضرورة الضغط على المؤسسات الرسميّة لتمكين الحرف العربيّ ؛ ليكون حرفًا ضوئيًا ، يفهمه العقل الحاسوبيّ ، لنقلّ الأخطاء التي تحدث في الاعتماد على وسائل بديلة لترجمة الإيعازات للعقل الحاسوبيّ بلغات أخرى.

- ضرورة إطلاق مواقع رصينة، والحثّ على متابعتها والاعتماد عليها ؛ للحدّ من ظاهرة التواصل المنفلت ، الذي يوصف بالحرّ تجوّزًا.

- ضرورة إطلاق حملات توعية كبيرة تنسجم وحجم المخاطر التي تنبع من تفشّي هذه اللغة في عموم مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا فئة الشباب فحسب ، وإن كانت هذه الفئة هي الأخطر ؛ لأنّها تمثّل مستقبل الأمّة .

الهوامش

(١) ينظر : فلسفة التواصل : جان مارك فيري : ٧ وما بعدها ، ترجمة : د. عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم - ناشرون / المغرب ، منشورات الاختلاف / الجزائر ، المركز الثقافيّ العربيّ / بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

(٢) ينظر : مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعيّ: محمد محمود مهدلي : ١٢ ، المكتب الجامعيّ الحديث، القاهرة ، د.ط ، ١٩٩٧م .

(٣) ينظر : معجم تحليل الخطاب : باتريك شارودو / دومينيك منغنو : ١١٠ ، تر عبد القادر المهيريّ وحمادي صمود، مر صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس ، ط ١ ، ٢٠٠٨م .

(٤) قضايا الشعريّة : رومان ياكوبسون : ٢٨ .

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات : القضماني رضوان : ٤٥ ، منشورات جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، حمص، سورية، د.ت .

(٦) ينظر: السِّيمياء : غيرو بيار : ١٠ ، ترجمة : أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٤ م.

(٧) نظرية المنهج الشكليّ، نصوص الشكلانيين الروس : تزفيتان تودوروف : ٣٥ ، ترجمة : إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط١ـ ١٩٨٢ م.

(٨) قضايا الشعرية : ٣٣.

(٩) السِّيمياء : غيرو بيار: ١٢ ، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٤م .

(١٠)النقد الحضاريّ : د.هشام شرابي : ٨٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية

(١١) هـدم اللّغـة العربيّـة الفصحـى! : د. نعـمان عبدالـرزاق السـامرائيّ : ٢٧ ، مجلـة الأدب الإسـلاميّ ، مـج ١ ، ع ٤ ، ربيـع الثـاني ١٤١٥ هـ .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) ينظـر : مـا هـو أصـل لغـة الفانكـو : أ. شـيماء الزنـاتيّ ، منشـور في موقـع المرسـاة الألكـترونيّ ، عـلى الرابـط :

https://www.almrsal.com/post/930211

(١٤) ينظر موقع الويكيبيدا ، مقال : الفرانكو ، على الرابط

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B6%D9%88%D8%B9:Uhmw1to5o8sgooc9

و ينظـر مقـال "أرقـام الفرانكـو بالترتيـب ": أ. شـيماء طـه ، منشـور في موقع المرسـال الألكـترونيّ ، عـلى الرابط :

https://www.almrsal.com/post/928779

ينظـر كذلـك مقـال الفرانكـو عـلى صحيفـة اليـوم السـابع الألكترونيّـة عـدد يـوم الإثنـين، ١٨ ديسـمبر ٢٠١٧ ، عـلى الرابـط :

https://www.youm7.com/story/2017/12/18/%D8%B3-%D9%88%D8%AC-%D9%83%D9%84-%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%B1%D9%8A%D8%AF-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%AA%D9%87-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%83%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%89-%D8%B4%D9%88%D9%87%D8%AA/3561645

(١٥) عـلى سـبيل المثـال مـا ورد في مقـال أ. نسـيبة تامـة ، الموسـوم بـ "ظاهـرة الفرانكـو آراب : خلـل ثقـافيّ أم عصرنـة وانفتاحيـة ؟ "منشـورة عـلى مدونـات موقـع الجزيـرة ، عـلى الرابـط :

https://www.aljazeera.net/blogs/2017/6/2/%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%83%D9%88-%D8%A2%D8%B1%D8%A7%D8%A8-%D8%AE%D9%84%D9%84-%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%85-%D8%B9%D8%B5%D8%B1%D9%86%D8%A9

(١٦) ينظر، موقع :
https://www.fekera.com/171243/%D8%AD%D8%B1%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%83%D9%88-%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84%D9%87/

(١٧) هناك مواقع أخرى متخصصة بتنصيب لوحة مفاتيح - كيبورد - للحواسيب والأجهزة اللّوحيّة التي تعمل بنظام الأندرويد، من قبيل موقع :
https://m.apkpure.com/ar/%D9%83%D9%8A%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AF-%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%83%D9%88-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF/com.keyboard.dev.franco

(١٨)ينظر مثلًا الموقع الآتي :
https://www.youtube.com/watch?v=zeeYjyje9WU

المصادر والمراجع

* أرقام الفرانكو بالترتيب ": أ. شيماء طه ، منشور في موقع المرسال الألكتروني .
* السِّيمياء : غيرو بيار ، ترجمة : أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٤ م.
* الفرانكو ، موقع ويكيبيدا ، موقع ألكتروني .
* الفرانكو على صحيفة اليوم السابع الألكترونية عدد يوم الإثنين، ١٨ ديسمبر ٢٠١٧ .
* ظاهرة الفرانكو آراب : خلل ثقافي أم عصرنة وانفتاحية ؟ : أ. نسيبة تامة : منشورة على مدونات موقع الجزيرة الألكتروني .
* فلسفة التواصل : جان مارك فيري ، ترجمة : د. عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم – ناشرون / المغرب ، منشورات الاختلاف / الجزائر ، المركز الثقافي العربي / بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
* قضايا الشعرية : رومان ياكوبسون ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط١ ، ١٩٨٨م .
* ما هو أصل لغة الفانكو : أ. شيماء الزناتي ، منشور في موقع المرساة الألكتروني
. مدخل إلى اللسانيات : القضماني رضوان ، منشورات جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، حمص، سورية، د.ت .
* مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي: محمد محمود مهدلي ، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ، د.ط ، ١٩٩٧م .
* معجم تحليل الخطاب : باتريك شارودو / دومينيك منغنو ، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس ، ط ١ ، ٢٠٠٨م .
* نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس : تزفيتان تودوروف ، ترجمة :إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط١- ١٩٨٢ م.
* النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين: د.هشام شرابي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٠م .
* هدم اللغة العربية الفصحى! : د. نعمان عبدالرزاق السامرائي ، مجلة الأدب الإسلامي ، مج ١ ، ع ٤ ، ربيع الثاني ١٤١٥ هـ .

المحتويات

كلمة الجمعية.....٥

حيويّة اللغة العربية (أ.د. صباح عطيوي عبود).....٨

تقديم.....٩

الخاتمة.....١٥

الهوامش.....١٦

المصادر والمراجع.....١٧

عربية التراث الادبي واشكاليات التلقي(أ.د. محمد عبد الحسين محمد الخطيب -أ.م.د. اوراس نصيف جاسم).....١٨

التمهيد ١٩

توطئة.....٢٠

إشكاليات التلقي.....٢٠

الهوامش.....٣٧

المصادر والمراجع.....٣٩

اللَّمحُ في اللغة العربيّة(أ.د. عايد جدّوع حنّون).....٤٠

التمهيد ٤١

توطئة.....٤١

اللمح الحسّيّ.....٤١

اللمح اللفظي.....٤٤

اللمح النصيّ.....٤٥

اللمح بالتناص.....٤٨
اللمح بالفعل الكلاميّ.....٥٠
النتائج.....٥٢
الهوامش.....٥٣
المصادر والمراجع.....٥٥
الفرانكو أريبيا Franco Arabia العربيّة الهجينة في ظلّ التواصل الحرّ (أ.د. مشتاق عباس معن).....٥٧
التمهيد : التواصل ضرورةٌ إنسانيّةٌ وحضاريّةٌ.....٥٨
الوظيفة التعّبيريّة ٥٨
الوظيفة الإفهاميّة.....٥٨
الوظيفة المرجعيّة/ أو المقاميّة.....٥٩
الوظيفة الميتالغويّة ٥٩
الوظيفة اللّغويّة.....٥٩
الوظيفة الشّعريّة.....٥٩
الفصل الأول :(نظرة موجزة لمحاكَة العربيّة).....٦٠
الفصل الثاني :(الفرانكو أريبيا **Franco Arabia**: النشأة والمقولات).....٦٢
أولًا:النشأة.....٦٢
ثانيًا : المصطلح والمفهوم.....٦٢
ثالثًا : ألفبائيّتها ٦٣
رابعًا : أشهر مختصراتها وأدواتها الرابطة.....٦٥

الفصل الثالث:(الدوافع و التمثّلات)..... ٦٧
أولًا : دوافع النشأة:..... ٦٧
الدافع التقنيّ..... ٦٧
دافع انتفاء البديل..... ٦٨
دافع الحاجة..... ٦٩
دافع التواصل الحرّ..... ٧٠
ثانيًا : محفّزات دعم العربيّة الهجينة..... ٧٠
ثالثًا : السلبيات..... ٧٢
التوصيات..... ٧٣
الهوامش..... ٧٤
المصادر والمراجع ٧٧